

# الباب الأول

الوجود المصرى فى افريقيا فى الفترة

ما بين

١٨٦٣ - ١٨٨٠

obeikandi.com

## الفصل الأول

### الثروة البشرية

١ - محاولات محمد على جلب العبيد :

تمثل الثروة البشرية في أى مجتمع من المجتمعات الدعامة القوية التى يقوم عليها تقدم المجتمع ونهضته في كافة المجالات المختلفة ، وخاصة اذا توفر لهذه الثروة القيادة الواعية ، القادرة على توجيهها والاستفادة منها الى أقصى حد ممكن فمن المعروف أن المجتمع الفقير في بنيانه البشرى لا يمكنه أن يحقق أهدافه وتطلعاته .

وقد أدرك محمد على ، هذه الأهمية الحيوية للأيدى العاملة منذ اللحظة الأولى لتولية حكم مصر عام ١٨٠٥ ، وزاد اهتمامه بها بعد أن خاضت جيوشه العديد من الحروب التى أفقدها الكثير من القتلى ، في الوقت الذى كان فيه هو في أمس الحاجة الى زيادة عدد جيشه ، الذى يتمكن به من تحقيق أهدافه فيما يتعلق ببناء امبراطورية مترامية الأطراف في آسيا وافريقيا .

ولكى يعيد محمد على بناء جيشه على أسس حديثة كان عليه أن يبحث عن مصدر يمكنه من الحصول على الاعداد اللازمة لبناء هذا الجيش ، بعيدا عن أبناء مصر الذين كان عليهم أن يتفرغوا للعمل الزراعى ، فلم يجد أمامه الا افريقيا التى كانت تنتشر فيها تجارة الرقيق على أوسع نطاق . (١)

(١) يمكن تقسيم الرقيق الى نوعين ، فهناك الرقيق الأبيض ، وهناك الرقيق الاسود ، أو العبيد السود أن صح التعبير ، وكلمة العبيد هذه لا تعنى في مضمونها العبيد الأبيض بعينه ، ولاتعنى أيضا العبيد السود ، وإنما تعنى الجميع معا ، فكانت كلمة العبيد هذه تعنى جميع الرعايا الذين يقطنون أى مجتمع من مجتمعات العالم بصرف النظر عن لونهم أو =

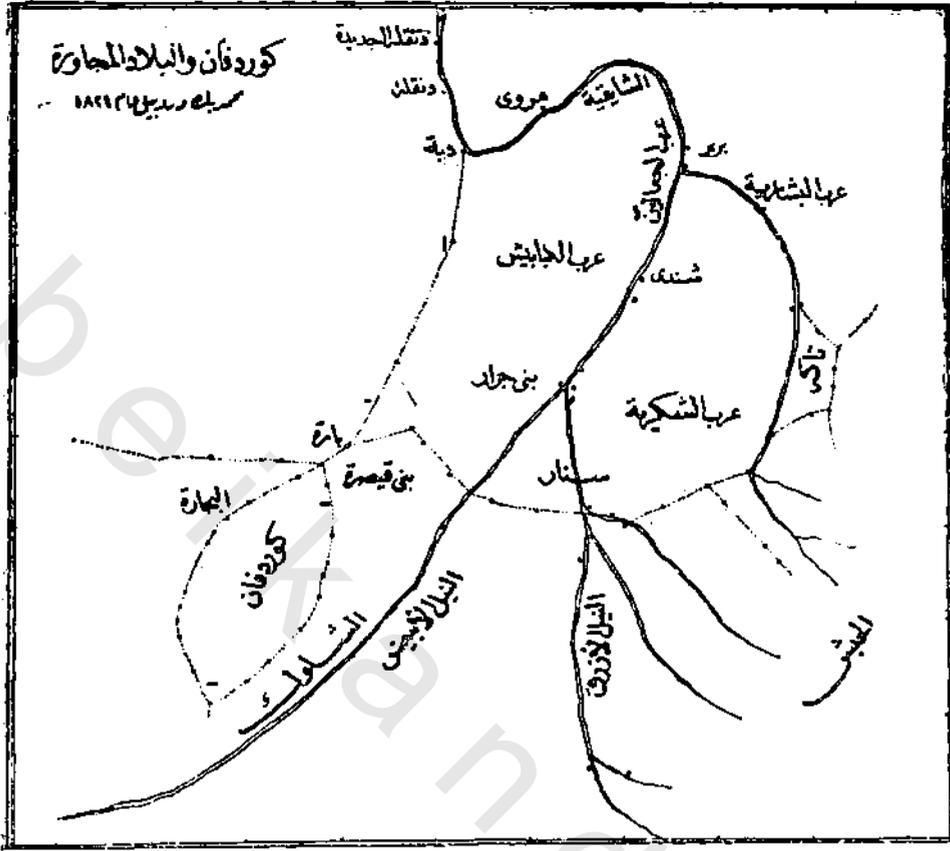
= مستواهم الاقتصادي والاجتماعي ، وقد ساد استعمال هذه الكلمة معظم بادان العالم ، منذ العصور الوسطى وحتى القرن التاسع عشر ، فمثلا نجد أن سكان مصر في ظل حكم محمد على كانوا يعرفون بالعبيد ، دون تمييز بين عناصرهم المختلفة فاستخدام هذه الكلمة لا يعنى الاهانة للفرد ، وانما استخدامها يتفق والمثل القائل ( كلنا عبيد الله ) . واما عن الحصول على الرقيق الأبيض ، فكان يمكن الحصول عليه بالأسر نتيجة الحروب أو بالاصطياد والقرصنة أو بالبيع والشراء ، وكانت عادة البيع والشراء هذه منتشرة في ظل العصور الوسطى ، وخاصة من جانب فقراء المسلمين الذين كانوا يقطنون مناطق الكرج والقوقاز ، فكان هؤلاء الآباء يبيعون أبنائهم بمحض ارادتهم ، وذلك للتخلص من اعباء معيشتهم ، وكان هؤلاء الآباء أيضا يعتقدون في أن بيع أبنائهم الذكور ، ربما يساعد هؤلاء الأبناء في أن يصبحوا فيما بعد حكاما أو امراء ، وكان الآباء أيضا يعتقدون في بيع بناتهم بأن هذا ربما يتيح لهن الفرصة في أن يصبحن ملكات أو اميرات . وكان لا يوجد فرق بين الرقيق الأسود والرقيق الأبيض من حيث الوظيفة أو العمل الذي يقوم به كل منهما ، ولكن كان هناك فارق في المعاملة التي يلقاها كل من الصنفين من سادته ، فمثلا نجد أن الرقيق في اوربا في العصور الوسطى كان يعامل معاملة سيئة للغاية ، ولامجال هنا للاستطراد ، بينما الرقيق في ظل البلاد الاسلامية كان يعامل معاملة حسنة حتى انه كان يعامل كما لو كان من أفراد الأسرة ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحض من وقت لآخر على عتق الرقيق ، ويعد أصحابه بالثواب الجزيل من الله تعالى . ولكن على الرغم من هذه المعاملة الطيبة التي لقيها الرقيق في البلاد الاسلامية فان القلة القليلة منهم تعرضت للأذى من جانب تصرفات بعض الحكام ، فنجد مثلا أن أحمد باشا الجزار والى عكا ، قام بقطع السنة وأنوف ونهود جواريه بحجة التسلية عليهن ، ونجد أيضا أن ابراهيم باشا والى الشام قام بقتل مملوكه الخاص ، لانه ذهب الى الحمام بدون اذن منه ، وفي نفس الوقت أمر بدفنه على شرط أن تظل أرجله ظاهرة على سطح الأرض كي تنهش الكلاب لحمه ، كما نجده أيضا يأمر بالقاء أربعة من جواريه في النيل ، لان زوجته اتهمتهن بدس السم في اللبن لأحد أبنائه ، وكما نجد أيضا عباس الأول من بعده يأمر بخياطة قم احدى جواريه لانه وجدها تدخن الدخان في احد طرقات قصره واما عن الحصول على الرقيق الأسود

١٨٢١ (٢) ، كانت الأولى تحت قيادة ابنه اسماعيل الذي اتجه بها — مباشرة صوب فازوغلى الواقعة الى الجنوب من النيل الأزرق ، وكانت الثانية تحت قيادة محمد بك الدفتردار ، الذي توجه بها صوب كردفان ، وهناك دارت معركة بينه وبين سلطان دارفور ، تمكن الدفتردار خلالها من هزيمة خصمه في بلدة بارة (٣) واستولى على الأبيض عاصمة كردفان في ٢٠ أغسطس

والذي لا يختلف عن الرقيق الأبيض الا في سواد لونه ، فكانت الغالبية العظمى من هذا النوع ، هي التي تقطن وحتى الوقت الحاضر معظم أفريقيا ، التي كانت في القرن الماضي مصدرا من مصادر تجارة الرقيق في العالم وخاصة بعد ان خفت حدة الحروب بين دول العالم ، فتدأى وقف هذه الحروب الى ظهور طبقة النخاسة التي ذهب أفرادها الى أفريقيا تحت ستار الاتجار في العاج وريش النعام ، وهناك مارسوا حرفة الاتجار في الرقيق الأسود على أوسع نطاق . وكان لنشاط هؤلاء التجار في أفريقيا أثره على محمد على الذي كان في أمس الحاجة الى العبيد السود (٢) انظر كتاب تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل تأليف الأستاذ الياس الأيوبي من صفحة ٣٠٠ — ٣٠١ ، وانظر المقدمة من كتاب ( التربية في السودان من اوائل القرن السادس عشر حتى الثامن عشر للدكتور/عبد العزيز أمين عبد المجيد) .

٢ — تكونت الحملة التي زحفت على السودان في يوم ٢٠ يوليو عام ١٨٢٠ ، والتي كانت تحت قيادة اسماعيل بن محمد على من ٤٠٠٠ مقاتل كان منهم ١٢٠٠ جندي من الفرسان العثمانيين و ٤٠٠ من الفرسان العرب والمغاربة ، ٦٠٠ من المشاة ، ٣٠٠ من رجال المدفعية ، ٨٠٠ من المشاة العرب والمغاربة ، ٧٠٠ من عرب العبادة ، وقد أضيف الى هذا العدد ١٤٠٠ مقاتل آخرون فاصبح مجموع الحملة ٥٤٠٠ جنديا وقد زودت بأربعة وعشرين مدفعا . انظر كتاب « عصر محمد على » للاستاذ عبد الرحمن الرفاعي ص ١٧٣ . وتكونت الحملة الثانية التي زحفت على السودان أيضا في شهر أبريل عام ١٨٢١ والتي كانت تحت قيادة محمد بك الدفتردار من ٣٠٠٠ مقاتل وقد زودت هذه الحملة بعشرة مدافع وتمكنت من هزيمة جيش سلطان دارفور في موقعة بارة في يوم ٢٠ أغسطس من نفس العام . انظر كتاب ( تاريخ سمودان وادى النيل الجزء الثانى للدكتور شوقى عطا الله الجمل ص ٢٥ ) .

٣ — انظر الخريطة الخاصة بموقعة بارة ١٨٢١م خلف صفحة (٣٣)



صورة الخريطة رقم ( ١ )

وتمثل الموقعة التي دارت بين قوات محمد بك الدفتردار وقوات جيش  
سلطان دارفور عام ١٨٢١ م .

عام ١٨٢١م (٤) وبهذا الانتصار تمكن الدفتردار من ضم كردفان الى السيادة المصرية .

وفي نفس العام ارسل محمد على مأمور جرجا الى مديرية بربر ، وذلك لارسال الاخشاب اللازمة لبناء ثكنات ، في كل من أسوان واسنا .  
للعبيد السود المزمع ورودهم من السودان وكان بصحبة مأمور جرجا هذا ١٥ نجارا كانوا مزودين بنحو مائتين من البلط لاستخدامها في قطع الاخشاب التي تقرر أن تلقى بعد تطعيمها في النيل ، لتصل بالتالي مع التيار الى أسوان واسنا ، وكان محمد على قد طلب من مأمور دنقلة أن يزود هؤلاء النجارين بالاعداد اللازمة من العمال كي يعاونهم في قطع الاخشاب المطلوبة (٥) .

يبدو أن الفرض من جلب محمد على للاخشاب من السودان ، بدلا من جلبها من بلاد الأناضول والشام ، كان يرجع الى عدة عوامل منها قرب بلاد السودان من أسوان واسنا مما يؤدي الى التقليل من قيمة النفقات اللازمة للشحن والنقل والتفريغ خاصة وأن الاخشاب سترد مع تيار النيل ، وربما كان محمد على لا يرغب في أن يعرف السلطان العثماني مشروعاته الحربية الجديدة ، حتى لا يوضع العراقيل أمام تنفيذها ، ومن الأرجح أن يكون هذا الرأي صحيحا لأن محمد على كان لديه الأسطول الذي يمكنه من نقل الاخشاب اللازمة له من أي مكان .

بعد وصول الاخشاب المطلوبة الى أسوان واسنا ، بدأ العمال في تشييد الثكنات اللازمة للجنود السود وقد انتهى العمل من تشييدها في مدة قصيرة ، بعد ذلك زودت بما يلزمها من مؤن ومهمات وملابس ومعدات وأسلحة ، ونذائر ، كما زودت أيضا بالمستشفيات اللازمة لعلاج هؤلاء الجنود حتى لا يكونوا عرضة للأمراض الفتاكة ، زيادة على ذلك فانها زودت بعدد كبير من الضباط الذين كانوا يقومون بتدريب هؤلاء الجنود الجدد ، وكان

---

(٤) د/شوقى عطا الله الجبل : تاريخ السودان وادى النيل ج٢ ،

ص ٢٨ .

(٥) ملخصات دفاتر المعية السنوية محفوظة ١ وثيقة ١٠ في ٢ محرم سنة

١٢٢٧هـ الموافق ١٨٢١م .

هؤلاء الضباط على جانب كبير من العلم والمعرفة ، لأنهم تلقوا تعليمهم على أيدي أحد كبار القادة الفرنسيين ، وهو الكولونيل سيف Seve الذي عرف فيما بعد باسم سليمان باشا الفرنساوي (٦) .

وبعد تجهيز جميع الثكنات كتب محمد على آلى قادة جيشه في السودان يقول لهم ما نصه :

« حمدا لله ثم حمدا أن ثكنات أسوان وأسنا وفرشوط ، قد اكتسبت نظامها ، ولم يبق شيء من الأمور ، الا ورود العبيد الذين نطلبهم » (٧) .

وكان جلب العبيد السود يتم بطرق مختلفة منها الصيد والشراء ، ومنها الحصول عليهم من القبائل كضرائب ، بدلا من تحصيلها نقدا أو عينا ، وكانت أولى هذه الطرق هي طريقة الصيد التي كانت تتم بمهاجمة قوات محمد على للقبائل السودانية في كل مكان وذلك لالقاء القبض على العدد المطلوب من العبيد السود . بعد ذلك يتم إرسالهم الى مصر ، ويتضح ذلك جليا من قراءة أحد خطابات محمد على الى حاكم السودان الذي جاء فيه ما نصه :

« لما كان ظاهرا جليا ان المراد والمقصود من سرق أمثالكم أحب اولادى الى مثل هذه المصالح الصعبة والاعمال العسيرة من ارسال كل هذا القدر من الجنود ، وصرف كل هذه المهمات واللوازم منحصرين في مسألة جلب المقادير الكبيرة من العبيد ، فأرني همتك فان اعز مطلوبنا هو أن تشدوا الرحال وتشمروا عن ساعد الجد نافرين بهمة واقدم الى مهمة جلب العبيد وارسالهم شيئا فشيئا ، على الصورة المأمولة متخذين الشجاعة شعاعا ، ولا يساوركم في هذا الصدد أدنى تردد ، بل نطلب أن تذهبوا الى كل صوب وجهة ، بمزيد من الجد والاقدام فتتقضوا وتضربوا وتأخذوا ما ينفعنا ويوافق عملنا من رعايا البنادر والقرى » (٨) .

(٦) عبد الرحمن الرافعي ، المصدر السابق صص ٢٨٠ ، ٢٨٣ .

(٧) د/مكى شببكة : تاريخ شعوب وادى النيل ( مصر والسودان ) —

ص ٣٤٧ .

(٨) محافظ ابحاث السودان — دفتر ٤٩ معية سنوية في ١٥ ربيع اول

سنة ١٢٣٧ الموافق ١٨٢١م .

وبعد ان تلقى حاكم عام السودان تعليمات محمد على قام من فوره  
بمهاجمة بعض قبائل سنار ، وتمكن من قنص عدد من العبيد ، بلغ حوالى  
١٩٠٠ عبد ، ثم قام بارسالهم الى اسنا مع سليم اغا أحد قادته ، وعندما  
علم محمد على بقدم هؤلاء العبيد كتب الى مأمور اسنا خطابا جاء فيه  
ما نصه :

« علمنا من مكاتبة نجلنا صاحب السعادة الباشا سر عسكر السودان ،  
انه ارسل نحو الالف وتسعمائة زنجى ، فمن اللازم فرز الذين يصلحون  
لصالحنا من ذكور الزنوج المذكورين ، مهما كانوا وابقاؤهم فى اسنا مهما  
كان عددهم ، وان ارادتنا تقضى انه اذا كان يوجد لدينا أشغال يمكن معها  
استخدام الباقين كالنسوة والصبيان فيستخدمون فيها واذا لم توجد  
فيباعون » . (٩) .

لم يكتف محمد على بهدد العبيد السود ، الذين أرسلوا اليه من  
السودان ، بل نجده يطلب من ابنه اسماعيل أن يرسل المزيد منهم ، وكان  
محمد على قد أفهم ابنه أن الغرض من ذهاب القوات المصرية الى السودان ،  
هو الحصول على العبيد ، واخبره أن العبيد بالنسبة له لا يقلوا في أهميتهم  
عن الجواهر ، وطلب منه أن يحافظ على حياتهم وخاصة أثناء قدومهم الى  
مصر ، وذلك بتوفير ما يلزم لهم من مأكى ومشرب ، ويتضح ذلك من خطاب  
محمد على الذى جاء فيه ما نصه :

« ان الغرض من مجيئكم الى هذه البلاد هو الحصول على العبيد اللازم  
ابتفاؤهم وفق المطلوب ، وايصالهم الى ثكنات أسوان ، غير معرضين الى  
الضياع والتلف ، وليس فى نيتنا ولا فى نظرنا غاية اعز من هذا الامل ، كبا هو  
ظاهر ، وان قيمة العبيد عندنا بمثابة قيمة الجواهر ، نظرا لمتضى الوقت  
والحال ، بل هى اعز من تلك وأجل والمطلوب ارسال ٦٠٠٠ من العبيد » . (١٠)

(٩) د/مكى شبكية : المصدر السابق ، صص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

(١٠) محفظة ٣ معية سننية ، وثيقة ٣٤٠ ، دفتر ١٠ معية تركى

فى ٩ ربيع أول سنة ١٢٢٧ الموافق ١٨٢١م .

لم يتمكن حاكم السودان من تنفيذ أوامر محمد علي ، على وجه السرعة بسبب ظروف السودان المناخية وبصفة خاصة في أثناء موسم المطر الذي تتوقف خلاله جميع الأنشطة الاقتصادية في البلاد ، بما في ذلك صيد العبيد (١١) ولكن بعد أن علم محمد علي بذلك كتب الى حاكم السودان يقول ما نصه :

« انه اذا انقضى موسم الامطار ، وحان زمن الخروج الى الجهات التي يرجى منها وجود العبيد استولوا على الكثير منهم وعليك ان تعنى بارسال الكثير منهم ، وأن تملأ ثكنات أسوان في هذه السنة بهم بفضل الله تعالى ، وأن تبتنم بهذا الامر أكثر من أى شيء » . (١٢)

يبدو ان طريقة الصيد التي اتبعها محمد علي في بداية الامر اضررت بالقبائل السودانية ، التي تعرضت لعمليات الهجوم ، فمن المرجح ان الأعداد التي كانت تنجو من القنص كانت تفر هاربة الى المناطق النائية لكي تنجو بحياتها وكانت القبائل التي لا تتعرض للهجوم تفر هي الأخرى بالنسبة بمجرد أن تسمع عما حدث لغيرها من مخاطر ، وحتى لا تلتقى نفس المصير المحتوم ، وربما ترتب على ذلك تدهور في أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية، زيادة على انتشار الفوضى والذعر في أرجائها .

ومن المرجح أن محمدا عليا عند ما علم بالأضرار التي ترتبت على عمليات صيد العبيد وما أدت اليه من أضرار بالغة أصابت كيان البلاد بالخلل . قرر الغاءها واستبدالها بطريقة أخرى اقل ضررا .

كانت الطريقة الجديدة التي حلت محل السابقة هي طريقة الشراء فقد طلب محمد علي من ناظر مصلحة أسوان أن يقوم بشراء العبيد السود ، وخاصة الذكور منهم ، من تجار الجلابة القادمين من دارفور (١٣) وطلب منه

---

(١١) د/ محمد محمود الصياد ، ومحمد عبد الفتى سعودى ، المصدر السابق ص ٩٩ - ١٠٠ .

(١٢) وثيقة ٣٤٠ دنتر ١٠ معية تركى في ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٣٧ الموافق لسنة ١٨٢١ .

(١٣) سمح محمد علي لتجار دارفور بممارسة تجارة الرقيق في بلادهم ، وكان من قبل قد طلب من مدير دنقلة أن يمنح هؤلاء التجار من القدوم الى مصر كي يعرفل تجارتهم ولكنه سمح لهم فيما بعد بممارسة تجارتهم ، بل وأمر حكامه بشراء ما معهم من عبيد ، وكانت دارفور في ذلك الوقت غير تابعة لنفوذ محمد علي .

أيضا أن يترك لهم النساء والمسنين والصبيان (١٤) وكانت طريقة الشراء المتبعة هو أن يقوم ناظر مصلحة أسوان ، اما بشراء العبيد من التجار يائمانهم الأصلية ، واما أن يقايضهم على ما معهم من عبيد ذكور بالجوارى ، وندلل على ذلك بما ورد في احد خطابات محمد على الى ناظر مصلحة اسوان الذى جاء فيه :

« حاصل التول يا ولدى أن المصلحة تقتضى المتاجرة مع جلابى دارفور بمبادلة العبيد بالجوارى » . (١٥)

كان من نتائج عمليات الشراء هذه أن ازدحمت ثكنات أسوان بالعبيد ولكن محمد على لم يكتف بهذا القدر بل طلب من مأمور جرجا أن يقوم بشراء العبيد السود من الجلابة الذين يأتون الى مديريته ، حتى ولو كانت أعمارهم لا تتعدى سن الثالثة عشرة ، وطلب منه أيضا ، الا يرسلهم الى معسكرات أسوان ، وذلك لازدحامها بالعبيد (١٦) . ويبدو أن هؤلاء العبيد الذين كانوا يأتون مع الجلابة الى جرجا ، جاءوا عن طريق سواكن — برنيس — قفط ( قنا ) ، وذلك لبيعهم بعيدا عن أعين الحكومة المصرية ومن المرجح أن يكونوا قد أتوا من هذا الطريق كى يتفادوا جبرك أسوان .

لم تقتصر طريقة الشراء على مأمورى كل من مصلحة أسوان وجرجا فحسب ، بل قام بها أيضا حاكم السودان ، وخاصة عند ما طلب منه محمد على أن يدفع أثمان العبيد من قيمة النقود المتحصلة من الضرائب المقررة على السواكى وقد بلغت قيمة ضريبة الساقية ٤ فرنسات (١٧) .

---

(١٤) محفظة ١ وثيقة ٣٦١ — معية سنوية في ٤ جمادى ثان سنة ١٢٣٧ الموافق سنة ١٨٢١م .

(١٥) وثيقة ٢١٩ ، دفتر ١٠ معية تركى في ٢٢ رجب سنة ١٢٣٧هـ الموافق ١٨٢١م .

(١٦) محافظ أبحاث السودان — دفتر ١٠ وثيقة ٣١٨ — معية سنوية في ٢٥ شوال سنة ١٢٣٧هـ الموافق ١٨٢١م .

(١٧) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٦ وثيقة ٦ صادر معية في ١١ جماد ثان سنة ١٢٤٢ الموافق ١٨٢٦م .

الى جانب عمليات الشراء هذه ، استخدم محمد على طريقة اخرى تتمثل في نظام الفردة الذي كان يعتبر نوعا من انواع الضرائب المعروفة بالسودان . فقد قرر محمد على أن يحصل على عبد واحد ، مقابل الفردة المقررة على كل خمس سواتى (١٨) ومن المرجح أن هذه الطرق الثلاث التى استخدمها محمد على في جلب العبيد السود لعبت دورا كبيرا في جلب أكبر عدد ممكن من هؤلاء العبيد السود ، اللازمين لمشروعاته العسكرية والاقتصادية .

## ٢ - نقل العبيد :

تطلب نقل العبيد السود من السودان الى صعيد مصر وسائل نقل سريعة ومأمونة ، بحيث تكفل لهم الراحة والحماية ، وازاء هذا لم يجد محمد على بدا من أن يشرع في صناعة عدد كبير من الناقورات (١٩) التى تستخدم في نقل

### (١٨) نفس الوثيقة .

(١٩) الناقورة نوع من انواع المراكب التى ارتبط تاريخها بتاريخ الانهار وكان نيلنا العظيم الميدان الاول لنشأة المراكب ، وتطورها ونموها ، وكان لأجدادنا القدامى شأن عظيم في فن بناء السفن ، وخير دليل على ذلك مراكب الشمس الموجودة الآن بالمتحف المجاور لهرم خوفو ، وعن المصريين نقل الفينيقيون والاعريق والرومان ثم الأوربيون فن صناعة السفن ، وكانت السفن المصرية اول سفن قامت برحلة بحرية عرفها التاريخ ، وهى رحلة سفن الملكة حتشبسوت في البحر الأحمر الى بلاد بونت ( الصومال الحالية ) ويتضح ذلك من الرسوم والنقوش الموجودة على جدران الدير البحرى . انظر كتاب تصميم السفن ، للدكتور محمد عقيل صفحة (٥) .

وقد اضاف كل من ريتشارد هيل في كتابه النقل في السودان،وصفا دقيقا للناقورة قال فيه :

«Sudan nuqur, a ship was built of blanks of sunt wood shaped by the adze and spiked together. In endeavour to exploit local resources the egyptians founded shipyards wherever there was a supply of sunt for the building of native Cargo Carriers and Ferries.» (1)

هؤلاء العبيد السود وعندئذ كلف كلاً من مديري دنقلة وبربر أن يقوموا بهذا العمل بعد أن يزودهما كل من مديري قنا وبربر ، بعدد من النجارين يقدر بنحو ١٥٠ نجاراً ، وبعدد آخر من النشارين والجدادين (٢٠) وقد تمكن هؤلاء العمال من صناعة عدد من هذه الناقورات من خشب السنط ، الذي يوجد بوفرة في بلاد السودان ، والذي يتميز بمتانته التي تجعله يعيش مدة طويلة من الزمن ، بالإضافة الى تحمله الصدمات والارتطام بالصخور والأماكن الرخوة وقد استخدمت هذه الناقورات بعد صناعتها في نقل العبيد بنجاح كبير ، والى جانبها استخدمت كذلك الزوارق والذهبيات التي كانت تقوم بنقل العبيد من سنار والخرطوم عبر النيل حتى بلدة بربر ، ومن بربر كان العبيد يركبون الناقورات عبر النيل النوبى حتى بلدة دير القمر ، ومنها يسرون برا حتى يصلون الى حدود الشايقية ، ومن هناك يركبون مرة أخرى الناقورات الى حنك ومنها بالمرالكب الى وادي حلفا ( ٢١ ) ومن حلفا الى أسوان . يبدو ان استخدام الزوارق والذهبيات في نقل العبيد في المسافة من سنار وحتى بربر ، يرجع الى أن هذه المنطقتين كانت خالية من الصخور والجنادل التي تعترض مجرى النهر ، وربما يرجع استخدام الناقورات للسفر في النيل النوبى ، الى أنها كانت تتحمل الارتطام بالصخور .

بعد وصول العبيد الى ثكناتها في مصر زودها محمد على بملابس كانت عبارة عن قمصان بيضاء مصنوعة من البفتة ، ولكن هذا النوع من الملابس لم يصلح للعبيد وذلك لعدم متانته وتحمله لأجسامهم ، مما اضطر محمد على ، أن يستبدله بنوع آخر من القماش ، يعرف بقماش الزعابيب ، الذي يتميز بالمتانة وقوة التحمل . ولقد ثبت فيما بعد عدم صلاحيته كذلك مع العبيد الذين

Dr. Schweinfurth added that «The Nuggers are so strong as they are massive being built to with stand the violent pushing the hippopotami, as well as collisions with the mussed banks which are scattered in various directions. (2)

Regard : Richard, Hill : Sudan transport. P. 2.

and regard : Report on the Egyptian provinces in the Sudan. P. 144.

(٢٠) محفظة (١) وثيقة ١٧ معية سنية في ١٧ محرم سنة ١٢٢٧ الموافق

١٨٢١م .

(٢١) وثيقة ١٤ معية ، سنية بدون تاريخ .

تحولوا الى جنود مما دفع محمد على أيضا الى أن يستبدله بنوع آخر من قماش تلوع المراكب (٢٢) .

وكان قد طلب من ناظر الجهادية أن يأمر بتفصيل هذا النوع من القماش تفصيلا حسنا ، كى يعطى الجنود مظهرا مقبولا ، ومن المرجح فى اختيار محمد على لهذا النوع من القماش هو اعتقاده فى متانته وقوة تحمله لأجسام الجند وبصفة خاصة فى أثناء التدريب وفى أثناء خوض الممارك .

### ٣ - استخدام العبيد :

**عمل العبيد السود الذين جلبوا من السودان ، فى كافة الأعمال** المختلفة فعملوا فى الجيش وفى الزراعة والصناعة ، وفى الأعمال المنزلية الأخرى ، لكننا نلاحظ أن الجيش قد استأثر بالفالابية العظمى من أعداد هؤلاء السود فقد الحق محمد على الشباب الذكور منهم بمختلف وحدات جيشه ، وكون منهم فى بداية الأمر الآيان ، يتألف الواحد منهما من ثلاث أورط . كتيبة ) وقد تكونت الأورطة الواحدة من ثمانية بلوكات وذكر الدكتور محمد محمود السروجى أن هذين الآليان كانا يحملان الرتمين التاسع والعاشر (٢٣) .

لم يعرف بعد ، وعلى وجه التحديد عدد العبيد السود الذين جلبوا من السودان سواء ، كانوا ممن جندوا بالجيش المصرى ، أم سواء كانوا ممن عملوا فى الأعمال المختلفة الأخرى ، باستثناء ما ذكره الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه ( عصر محمد على ) فى صفحة ٦٥١ ، من أن عدد 'السودانيين المنتظمين بالجيش بلغ ٢٥٠٠ جندى ، وأن عدد الجوارى السود بلغ ١٠٠٠ جارية ، وأن عدد العبيد الذين عملوا كخدم فى المنازل بلغ نحو ٢٠٠٠ عبد ، ومن المرجح أن هذه الأرقام غير صحيحة لأنها لا تتناسب مع ما اتخذته محمد على من إجراءات بشأن جلب أكبر عدد ممكن من العبيد السود .

(٢٢) محفظة ٣ ممية سنية ، وثيقة ١٧٤ فى ٢٥ جمادى الثانية سنة

١٢٣٧ الموافق ١٨٢١م .

(٢٣) د/ محمد محمود السروجى : الجيش المصرى فى القرن ١٩ ، ص ١٩

٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٦٢٢ .

ولكن ريتشارد جري Richard Gray ذكر في كتابه تاريخ السودان الجنوبي في صفحة خمسة ما نصه : « ان اى حملة مصرية كانت ترسل لمهاجمة اى جبل من جبال السودان ، كانت تعود وهى تجلب معها ما يقرب من ٥٠٠٠ آلاف من العبيد » (٢٤) ربما يكون هذا الرقم الآخر مبالغاً فيه ، ولكن ربما يكون على جانب كبير من الصحة ، لانه يتناسب مع الاجراءات الضخمة التى اتخذها محمد على فى سبيل الحصول على أكبر عدد ممكن من العبيد السود .

تيز الجنود السود عن غيرهم بالشجاعة والطاعة وحب النظام ، ولكن على الرغم من كل هذه الصفات الحسنة فان عددا قليلا منهم كانوا فى بعض الاحيان يقومون بالتمرد والعصيان ، وندل على ذلك بما ذكره حكمدار السودان حيث قال : « اما العساكر السودانية ، فانهم من القديم متعودين على عدم الضبط والريط ، وأن الفوضى راسخة فى أذهانهم كالمرض المزمن ، ويتضح ذلك من عدم أصغائهم الى النصائح والتفقيات القانونية والعسكرية الموجهة اليهم ، واعراضهم عن قبولها كتقاعدة للعبل على حسب المعتاد (٢٥) .

وتأكيدا لما ذكره حكمدار السودان ، نجد أن بعض جنود معسكر الناكه تاموا فى عام ١٨٤٥ م بالتمرد والعصيان ، وادى تهمهم هذا الى اثاره القلق والاضطراب بين سكان الميرية ، ولكن الحكمدارية تمكنت من اخماد هذه الفتنة واعادة الامور الى نصابها ، وقد تراوح عدد الجنود الذين تاموا بالعصيان ، فيما بين ٥٠٠٠ ، ٦٠٠٠ جندى وفى نفس العام حدث تمرد آخر فى معسكر واد مدنى كان من نتائجه انتشار الفوضى والاضطرابات بين السكان ولكن الحكمدارية تمكنت أيضا من اخماده ، وقدمت ٢٦ جنديا للمحاكمة بتهمة التمرد ، وبعد محاكمتهم تقرر اعدامهم ، ولكن لما عرض الامر على محمد على خفف عنهم هذا الحكم ، واكتفى بارسالهم الى مصر تمهيدا لتوزيعهم على كافة الوحدات العسكرية المختلفة ، وفى نفس الوقت رقى الجندى / جورج الى رتبة الجاويش ، كمكافأة له لتبليغه عن هذه الفتنة (٢٦) .

Richard Gray : A History of the southern Sudan. P. 5. (٢٤)

(٢٥) د/ محمد محمود السروجى : المصدر السابق ص ٦٢٣ .

(٢٦) محافظة ٢ وثيقة ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .

يبدو أن السبب في تمرد الجنود السودانيين كان يرجع الى سوء الادارة والقيادة معا ، فربما كان الدافع وراء قيام هؤلاء الجنود بالتمرد والعصيان ، هو عدم حصولهم على مستحقاتهم من التعمينات والمهمات ، وربما كانوا يحصلون عليها ولكن بكميات قليلة لا تتناسب مع ما يبذلونه من جهد ، ومن المحتمل أيضا أن الدافع وراء هذا التمرد هو أنهم كانوا لا يصرفون مرتباتهم الشهرية في مواعيدها المحددة ، بل كانوا يتركونها لفترات طويلة تصل في بعض الأحيان الى شهور عدة ، دون أن يحصلوا عليها ، وربما يرجع ذلك الى انعدام الصلة بين مركز الحكمدارية ووحدات الجيش التابعة لها ، والسبب في ذلك بالطبع هو صعوبة المواصلات وطول المسافات .

ولكن على الرغم من قيام بعض هؤلاء الجنود بالتمرد والعصيان إلا أنهم لعبوا دورا هاما الى جانب اخوانهم من المصريين في حروب اليونان والشام والحجاز ، وفي مقابل ذلك لقوا من نظارة الجهادية كل العناية والرعاية ، من حيث حصولهم على التعمينات والملابس (٢٧) والترقى بالاضافة الى تمتعهم بالرعاية الطبية ، فكان الاطباء المصريون يقومون بتوقيع الكشف الطبى عليهم وتطعيمهم ضد الجدري والأمراض المعدية الأخرى . (٢٨)

عمل العبيد السود كذلك في الزراعة الى جانب عملهم في الجهادية ، فقد اختار محمد على مجموعة منهم، اشتملت على الأطفال والنساء والرجال، وخصص لهم قرية صغيرة تقع بجوار منفلوط ، عرفت باسم « كوم كام بوها » وقد زودها بعدد من مهرة الفلاحين المصريين ، وذلك لتعليم السود حرفة الزراعة ، وبطاحونة لطحن الغلال وبمسجد ليؤدى السكان غيه الصلوات الخمس ، ويعدد من الماشية والأغنام والطيور والملابس والأطعمة . (٢٩)

- 
- (٢٧) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٩١ صادر معية ، وثيقة ٤٥٤ في ١٤ محرم سنة ١٢٦٢ الموافق ١٨٤٥م .
- (٢٨) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٩ ، وثيقة ١ صادر معية سنوية في ٢٣ صفر ١٢٦٦هـ الموافق ١٨٤٨م .
- (٢٩) محافظ أبحاث السودان — دفتر ١٦ معيه تركى ، وثيقة ١٥٤ في ٢٤ جماد أول سنة ١٢٣٩هـ الموافق سنة ١٨٢٣م .

ولكن على الرغم من هذه الرعاية والعناية التى لقيها هؤلاء العبيد السود ، من قبل محمد على ، عندما أرسلهم الى قريتهم الجديدة ، حيث كان يهدف من ورائها اساسا الى النهوض اقتصاديا واجتماعيا بهؤلاء العبيد ، الا انهم فشلوا فشلا ذريعا فى اتقان مهنة الزراعة والدليل على ذلك انهم عجزوا تماما عن تسديد قية اثمان الأشياء التى حصلوا عليها من قبل الحكومة المصرية ، مما اضطر شيخ هذه القرية الى أن يطلب من محمد على أن يسمح له بتوزيع سكان هذه القرية من العبيد وبخاصة أتوباء البنية منهم على بعض المصانع ، ولكن محمدا عليا رفض هذا الاقتراح ، وطلب من هذا الشيخ أن يستخدم القسوة فى معاملتهم حتى يجدوا ويجتهدوا فى أعمالهم الزراعية . (٢٠)

يبدو أن فشل هؤلاء الزوج فى فلاحه الأرض يرجع الى أنهم جيلوا على حياة الكسل والخمول ، وذلك راجع الى نشأتهم فى بيئتهم الأصلية ، التى يعتمد الإنسان فيها على الجمع والالتقاط ، اى أنهم كانوا يعيشون حياة بدائية بسيطة لا يمارسون فيها حرفة الزراعة الا نادرا . وربما يرجع السبب فى فشلهم الى أنهم كانوا من العبيد كبار السن وهم فى هذه الحالة لا يستطيعوا القيام بحرفة الزراعة ، ومن المرجح أن يرجع الفشل الى عدم حبهم للعمل الزراعى لأنهم لم يتعودوا عليه من قبل .

لم يقتصر أمر توطين العبيد السود على قرية (كوم كام بوها) وحدها . بل نجد مجموعات منهم قد توطنت فى بعض محيريات الوجه البحرى ، فقد حدث ذلك عندما طلب محمد على عام ١٨٤٥م من حاكم السودان احمد باشا المنكى أن يرسل له حوالى ٢٠٠ من العبيد الذكور والإناث ، وذلك للعمل فى جفالق بشنتواى بالبحيرة ، وقد استجاب الحكمدار لطلب محمد على وارسلهم فى العام التالى (٢١) وقبل ذلك كان قد أرسل من حى السيدة زينب (٢٢)

(٢٠) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٥ صادر معية ، وثيقة ٢٤٤ فى آخر محرم عام ١٢٤٢هـ الموافق ١٨٢٦م .  
(٢١) محافظة أبحاث السودان — دفتر ١٩ معية تركى ، وثيقة ٤٣٥٨ فى ١٧ ربيع ثان سنة ١٢٦٣هـ الموافق ١٨٤٦ .  
(٢٢) حى السيدة زينب كان مركزا من مراكز تجميع العبيد السود ، القادمين من السودان فى عهد محمد على باشا .

عددا من العبيد الى ميت غمر ، وقد شمل هذا العدد الاطفال والرجال والنساء (٣٣) ولكن لم يعرف بعد الغرض الذي أرسلوا من اجله الى ميت غمر ، فهل أرسلوا من أجل العمل الزراعى أو الصناعى فلا أعلم بشيء ، لأننى لم أجد من الوثائق ما يفيد ذلك فهذه النقطة لاتزال موضع بحث .

من الملاحظ أن العبيد السود لم يكن لهم دور يذكر في مجال الزراعة ، بقدر ما حققوه من نجاح في بعض المجالات الأخرى ، كالعمل في الجيش والصناعة وكالعمال في خدمة المنازل .

فالى جانب الأعمال السابقة ، عمل العبيد السود في المصانع العديدة التى أنشأها محمد على ، فعملوا في مصانع البنادق والمدافع والبارود والحدادة والمهمات (٣٤) كما عمل النساء منهن في مصنع النسيج الذى أنشئ في القلعة والذي ضم ٢٠٠ مائتين من الأنوال (٣٥) ويبدو أن النساء اللاتى كن يعملن في مصنع النسيج كن من زوجات الجنود ، وربما كن من السيدات اللاتى فقدن أزواجهن في الحروب ، ومن المرجح أن يكن من السيدات اللاتى لهن مقدرة على الأعمال الفنية ، لأن العمل على الأنوال يحتاج الى مهارة خاصة ودقة في العمل ، ولاتزال الفتيات حتى اليوم يمارسن العمل على الأنوال وخاصة في مصانع السجاد والأكلمة .

وزود محمد على جميع العمال الذين يعملون في مصانعه المختلفة بتذاكر شخصية ( بطاقات شخصية ) كان يوضح فيها البيانات الخاصة بكل عامل . سواء كانت الأوصاف الخلقية ، الممثلة في الطول واللون ، أو البيانات الأخرى التى تشتمل على الاسم والعقيدة والسن ، وكان من المتبع بعد استيفاء بيانات

---

(٣٣) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٧٥٦ ديوان خديو ، وثيقة ٢٢٢ في ١٧ محرم سنة ١٢٤٦هـ الموافق ١٨٣٠م .  
(٣٤) ملخصات المعية السنية ، وثيقة ٨١٥ في ٢٥ الحجة سنة ١٢٣٧ الموافق ١٨٢١م .

(٣٥) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٩ معية تركى ، وثيقة ٣٦٥ في ٢٩ جماد ثان سنة ١٢٣٧ الموافق ١٨٢١م .

هذه التذاكر أن تعتمد من ديوان التذاكر ( مصلحة تحقيق الشخصية ) ثم تختتم بعد ذلك بخاتم هذا الديوان ، ثم توزع بالتالى على أصحابها (٣٦) ويبدو ان انخراط من عمل هذه البطاقات كان بمثابة حصر لعدد العمال الذين يعملون فى اى مصنع ، حتى يمكن حصرهم عندما يتفبب أحدهم عن العمل ، وربما كان الفرض منها هو تمييزهم عن غيرهم من العبيد الذين يعملون فى مهن أخرى ، ومن المرجح أيضا أن يكون الفرض من عملها راجعا الى أن العمال كانوا يحصلون بمقتضاها على مرتباتهم .

والى جانب ممارسة العبيد للأعمال السابقة عمل عدد كبير منهم كخدم فى المنازل ، وقد قدر عدد هؤلاء الخدم بنحو ١٠٠٠ جارية وزعن بمعدل جارية واحدة لكل منزل من المنازل وكن يقمن بأعمال الطهى وتربية الأطفال ونظافة المنزل (٣٧) .

كان مديروا المديرىات يقتنون من الجوارى والخدم أعدادا كبيرة فربما يرجع السبب فى ذلك الى اتساع منازلهم ، ومدى حاجتها الى اعداد كبيرة منهم ، وقد ظهر ذلك بوضوح فى منزل عبيد اغا مدير دنقلة الذى وجد فيه بعد وفاته ٢٤ عبدا ، كان منهم ١٦ عبدا من الذكور ، حرر منهم اثنى عشر عبدا والحقوا بالخدمة العسكرية ، ووزع الأربعة الباقون منهم على المنازل للعمل فيها كخدم ، لانهم كانوا لا يصلحون للعمل العسكرى ، وكان هؤلاء الخدم انذكور يمثلون عناصر مختلفة ، فكان منهم الجركسى والكورجى والأبازى والجزائرى . لما عن الجوارى اللائى وجدن فى هذا المنزل ، فقد وجد منهن اثنتان من الجوارى السود ، والباقيات منهن كن من الجوارى البيض . وكان منهن جارية حامل (٣٨) يبدو أن النظام الذى كان متبعا بالنسبة

---

(٣٦) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٧٥٧ — ديوان خديو ، وثيقة ٢ فى ٢٩ شوال سنة ١٢٤٥ الموافق سنة ١٨٢٩م .

(٣٧) عبد الرحمن الرامعى المصدر السابق ص ٦٥٢ .

(٣٨) محافظ أبحاث السودان — دفتر ١٧٢٣ ديوان خديو تركى — وثيقة ٧٦٧ فى ١٢ الحجة ١٢٤٢ الموافق ١٨٢٦م .

للجوارى ، وخاصة بعد موت ساداتهم ، أن يعاد النظر في توزيعهم من جديد ، بينما كان من يصلح من الشباب الذكور للجهادية يلحق بالوحدات العسكرية ، وكان غير الصالح منهم للعمل العسكري يوزع من جديد على المنازل للعمل فيها كخدم ، بما في ذلك الجوارى أيضا ، وربما كان سادة الجوارى في بعض الأحيان يقومون بمعاشرتين معاشرة الأزواج ، وكانوا ينجبون منهم أطفالا .  
والى جانب الجوارى والخدم كان يوجد نوع آخر من الخدم يعرف ( بالخصيان ) ( ٣٩ ) الذين كانوا يعملون بصفة خاصة في تصور الحكام ،

( ٣٩ ) الخصيان هم الأشخاص الذين يتولون حراسة حريم الأمراء والملوك ويرجع استخدامهم الى زمن بعيد ، فقد انتشر استخدامهم في بلاد اليونان وكان من أشهرهم الخصى ( نرسييس ) الذى كان أكبر توأدهم بعد بليرير وانتشروا أيضا في انبلاد الايطالية وفي آسيا وأوربا وفي أفريقييا ولا سيما في القطر المصرى فانهم كانوا أكثر انتشارا وذلك لسهولة الحصول على العبيد اللائق لعملية الخصى ، وكانت حرفة الخصيان رائجة في مصر بحيث كانت مدينتا أسيوط وجرجا هما الوحيدتين من المدن المصرية اللتين تباشرا تلك العملية الشائنة ، وكانت قرية زاوية الدير القريبة من أسيوط عاصمة للقائمين على عمليات الخصى . فكانوا يقومون بخصى نحو ٣٠٠ شخص كل عام ، وكانوا يختارون هذه الضحايا من بين سفار العبيد السود ، الذين تتراوح أعمارهم فيما بين ٦ ، ٩ سنة والذين كانوا يأتون من سنار ودارفور ، وكان يتراوح ثمن الخصى الواحد فيما بين ١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ قرشاً .

كان من المتبع أن تجرى عملية الخصى في فصل الخريف لأنه أوفق غصول السنة ، ولم تقتصر عملية الخصى على بتر عضو الذكر وحده ، بل كان يبتتر بالموى جميع الأجزاء البارزة المرتبطة به ، ثم يصبون في الحال على مكان البتر شيئا من الزيت المغلى ، ويركبون أنبوية في الجزء الباقى من مجرى البول وبعد القاء الزيت يذرون على مكان الجرح مسحوق الحنا ، ثم يدفنون الفتى الذى تم خصيه في الأرض الى ما فوق البطن ، وبعد أن يتركونه في هذه الحالة ٢٤ ساعة يستخرجونه من الأرض ، ويدهنون مكان الجرح منه بعجينة من الطين الأبلبز والزيت ، وكان يموت من هؤلاء الصبيان نحو الربع ، وأما الباقى فكانوا يقضون حياتهم في الضعف والشقاء . وكان البعض منهم يصل الى أكبر مناصب الدولة ، ففى الإستانة مثلا ، وصل كبير الخصيان الى الحاشية السلطانية ، ورفع السلطان أحد خصيانه الى مرتبة الباشوية وعهد اليه بقيادة جيوشه .

لأنهم فيما يبدو كانوا يعملون كحراس للأميرات ففى عام ١٨٤٥ م ، أرسل  
حكمدار السودان أحمد باشا المنكلى سبعة من هؤلاء الخصيان الى الأستانة  
للعمل فى قصر السلطان العثمانى (٤٠) .

#### ٤ - موقف محمد على من تجارة الرقيق :

كانت تجارة الرقيق فى افريقيا معروفة ورائجة منذ زمن بعيد جدا ،  
وكانت متصلة فى كيان السودان الاجتماعى والاقتصادى . وكانت هناك  
عدة قوافل للرقيق تأتى من السودان تعرف الأولى منها بقافلة النيل الأزرق ،  
التي كانت تبدأ رحلتها من سنار الى شندي ثم تصل الى أبى حمد ، ومنها  
الى كرسكو ، فأسوان ، وتعرف الثانية منها بقافلة النوبة ، والتي كانت  
تبدأ رحلتها من المحس الى اسيوط ، وتعرف الثالثة بقافلة كردفان ، والتي  
كانت تبدأ رحلتها من الأبيض الى دنقلة أو الدبة ، ثم تصل الى المحس  
فأسيوط ، وتعرف الرابعة والأخيرة بقافلة دارفور والتي كانت تبدأ رحلتها  
من كوى عبر صحراء ليبيا ثم تصل فى النهاية الى اسيوط ( طريق درب  
الأربعين ) .

كانت كل قافلة من هذه القوافل تحمل معها عددا كبيرا من العبيد ،  
نقد ذكر جري Gray فى كتابه تاريخ السودان الجنوبى فى صفحة خمسة  
ان جملة العبيد التي كانت تصل من سنار الى مصر فى السنة تبلغ حوالى  
٥٠٠ عبد ، وقد تضاعف حجم هذا العدد فى نهاية القرن الثامن عشر وأصبح  
يتراوح فيما بين ٥٠٠٠ ، ٦٠٠٠ عبد فى السنة وكانت الغالبية العظمى من  
هؤلاء العبيد من البنات ، لأنهن كن مطلوبات للعمل فى المنازل وكان من

---

= ويذكر كلوت بك أن الخصى يتميز بأنه أمرد سليلب اللحية والشارب  
وفى صوته خشونة ، ويميل الى الأذى والخوف وسرعة الغضب ، ويميل  
البعض منهم الى مظاهر الصلاح والتقوى .

انظر كتاب لحة عامة الى مصر ، تأليف أ . ب كلوت بك ، تعريب  
محمد مسعود . صفحة ٦٢٨ - ٦٣٣ .

(٤٠) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٣٩٠ - صادر ، ديوان المعاونة  
وثيقة ١٩٢ فى شوال سنة ١٢٦١ الموافق ١٨٤٥ م .

النادر أن تجد منزلا يخلو من جارية ، ولكن من الملاحظ أن هذا العدد قد تناقص بصورة كبيرة مع بداية القرن التاسع عشر ، ربما يرجع ذلك الى أحداث السودان الداخلية ، التي أدت الى اضطراب الأمن وعدم الاستقرار ، وما نجم عن ذلك من تدهور في حركة التجارة بين مصر والسودان (٤١) .

وكان لانتشار تجارة الرقيق في أفريقيا وعلى نطاق واسع ، اثره الفعال على محمد علي ، الذي بادر بمجرد وصول ثواته الى السودان ، باستغلال هذه الثروة لحسابه الخاص وادل على ذلك بقوله مخاطبا ناظر مصلحة اسوان ما نصه :

« حاصل القول يا ولدي ، أن المصلحة تقتضى المتاجرة مع جلابى دارفور ، وذلك بمبادلة العبيد بالجوارى » . (٤٢)

استمر محمد علي في استغلال تجارة الرق الأسود ، منذ ان دخلت قواته الى السودان ، وحتى عام ١٨٤٠ م ، ففى هذا العام اصبح في غير حاجة الى العبيد ، ويمكن تعليل ذلك بعدة عوامل منها ابرام معاهدة لندن بين تركيا من ناحية ، وبين الدول الأوربية ( انجلترا والروسيا وبروسيا والنمسا ) من ناحية أخرى ، فقد أدى عقد هذه المعاهدة الى نقطتين أساسيتين ، اولهما تخلى محمد علي عن ممتلكاته في كل من سوريا ، وجزيرة العرب ، وكريت وقلزم اذنة ، وثانيهما تحديد عدد جيشه بثمانية عشر الفا من الجنود فقط (٤٣) وبهذا أيضا أن محمد علي ألغى نظام الاحتكار الاقتصادى الذى كان سائدا في مصر وملحقاتها من البلاد الأخرى . (٤٤)

ولقد أدت سياسة إلغاء الاحتكار الاقتصادى الى زيادة نشاط التجار الأوربيين والعرب في السودان فكان من التجار الأوربيين المالطى ديبونى

Richard Gray : op. cit. P. 5.

(٤١)

(٤٢) محافظ أبحاث السودان - دفتر ١٠ معية تركى ، وثيقة ٢١٩ في

٢٣ رجب سنة ١٢٣٧هـ الموافق ١٨٢١م .

(٤٣) عبد الرحمن الرافعى ، المصدر السابق ص ٣٣٤ .

(٤٤) د/ أحمد أحمد الحنة : تاريخ مصر الاقتصادى ، ص ٤٤

Debone وكل من الفرنسيان ملاك Melzak الذى انتشرت مستودعاته (زراثيه) على طول نهر الرهل وبحر الغزال ، وبارثامى Barthlemy ، وكان من التجار العرب السيد احمد العقاد ، وشريكه موسى العقاد ، وعلى أبو عمورى ومحجوب البصيلى وغطاس القبطى ، وكوتشك على التركى ، وأدريس أبتز الدنقلوى (٤٥) .

عمل هؤلاء التجار سواء اكانوا من الاوربيين ام العرب فى تجارة الرق التى كانت منتشرة فى السودان على نطاق واسع ، وزاد نشاطهم ، بعد الكشف عن منابع النيل الابيض فى الفترة ما بين ١٨٣٩ ، ١٨٤٢ م .

ونظرا لازدهار هذه التجارة فى هذه الفترة قرر محمد على ، ان يفرض عليها رسوما جمركية ، تراوحت قيمتها فيما بين ٣٥٠ قرشا بالنسبة للعبد السودانى ، ٥٠٠ قرشا بالنسبة للعبد الحبشى ( ٤٦ ) وكان قد تقرر اعفاء الاطفال نهائيا من هذه الرسوم ، بينما تقرر اخذ ضريبة على الاولاد ، تراوحت قيمتها فيما بين ٢٥٠ قرشا بالنسبة للعبد الحبشى ، ١٧٥ قرشا بالنسبة للعبد السودانى (٤٧) والى جانب ذلك طلب محمد على من حكمدار السودان أن يحصل على قيمة الضريبة المقررة على القبائل السودانية ، فى صورة ابقار بدلا من الحصول عليها فى صورة عبيد ، وقد حدد قيمة هذه الضريبة بمئشرة ابقار بدلا من العبد الواحد ، الذى تبلغ قيمته ٥٠٠ قرشا (٤٨) .

زيادة على ذلك فان تجارة الرق فى افريقيا واجهت معارضة من جانب الدول الاوربية ، وبصفة خاصة من جانب بريطانيا ، فربما يرجع ذلك الى سببين رئيسيين اولهما ، أن هذه الدول كانت قد الغت بالفعل تجارة الرق

---

(٤٥) د/ محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان ، المصدر السابق ص ١٦٧ .

(٤٦) محافظ ابحاث السودان — دفتر ١٩٧ معاونة اقاليم ، وثيقة ١٣٩ فى ١٩ محرم سنة ١٢٥٨ هـ الموافق ١٨٤٢ م .

(٤٧) محافظ ابحاث السودان — دفتر ٢٦١ معاونة ايرادات ، وثيقة ١٣٩ فى ٣ ربيع اول سنة ١٢٥٨ هـ الموافق ١٨٤٢ م .

(٤٨) محافظ ابحاث السودان — دفتر ٤٤٣ ، وارد معية سنوية ، وثيقة ١٥٧ فى ١٨ رجب سنة ١٢٦٣ الموافق ١٨٤٦ م .

في بلدانها ، وثانيهما كان يتمثل فيما نقله السياح والرحالة والمغامرون الأوروبيون إلى دولهم عن المعاملة السيئة التي كان يتعرض لها هؤلاء العبيد من جانب تجار الرق وخاصة أثناء عمليات القنص .

ترزعت بريطانيا حركة وقف تجارة الرق في افريقيا بعد أن قضى عليها في أوروبا (٤٩) مع أنه لم يكن لها أي نفوذ يذكر في افريقيا في ذلك الوقت ، فطلبت من محمد علي أن يقوم بهذا العمل لما له من نفوذ في هذه القارة ، فأرسلت له عام ١٨٢٧م عضو البرلمان البريطاني جون بورنج Bouring

٤٩ — ظهرت في أوروبا المناداة بوقف تجارة الرقيق ، منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وكان من أشهر المنادين بها المستر جرانفيل شرب . الذي ظل ينادى بوقف هذه التجارة مدة نصف قرن من الزمن وكان يعاونه في هذه المهمة الرجال الإنجليين المعروفين باسم الكويكرز أي ( الراجفون ) ومن بعد جرانفل نادى بها المستر كلاركس الذي انضم إليه ويلبر فرس ، وكان الهدف من دعوتها هو حمل البرلمان البريطاني على استصدار قانون ببطلان الرق . وفي يونيو عام ١٧٨٧م تأسست لجنة مؤلفة من ١٢ عضواً كان معظمهم من الكويكرز وذلك للمطالبة بوقف الرق أيضاً ، وفي العام التالي لتأسيسها طلبت من البرلمان الإنجليزي أن يستصدر قانوناً يحرم الرق وقد نجحت في ذلك عندما حصل ويلبر فرس أحد أعضائها على هذا القانون عام ١٧٨٨ م وقد حذا البرلمان الفرنسي حذو الإنجليزي ، فاستصدر قانوناً يقضى بتحريم الرق عام ١٨١٥ ، ومن قبل ذلك كانت الجمعية الدستورية الفرنسية ، قد أصدرت قانوناً في ١٥ مايو عام ١٧٩١ يقضى بمساواة جميع البشر في الحقوق الشخصية والمدنية والاجتماعية وقد أصدر مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ م قراراً يقضى بمنع الاتجار في الرقيق ، وكذلك قضت قرارات مؤتمرى كل من اكس لاشابل الذي انعقد عام ١٨١٨م وفيرونا الذي انعقد عام ١٨٢٢م بوقف تجارة الرقيق ، وفي عام ١٨٢٣ تأسست جمعية انجلترا تحت رئاسة كل من غلاركس وويلبرفرس وبكستن ، وكان الغرض من انشائها هو العمل على وقف تجارة الرقيق ، تدريجياً في الممتلكات الإنجليزية ، ولكن جماعة الكويكرز البصبات جريك ، اعترضت على مبدأ الالغاء التدريجي ، وطالبت بأن يتم الالغاء بصورة سريعة . ونتيجة لهذا الضغط من جانب هذه الجماعة ، اضطر البرلمان

اتذى طلب منه ضرورة العمل على الغاء تجارة الرق في السودان واخبره بأن ضباطه يقومون بتوزيع الرقيق على الجنود كمرتبات ، فقال له محمد على أنه كان يعلم بأن ضباطه يقومون بالاتجار في الرق ، مع أنه غير موافق على مثل هذه التصرفات ، ووعده العضو البريطاني في نهاية اللقاء بأنه سوف يتخذ من الاجراءات ما يكفل وقف هذه التجارة ، وبالفعل بادر بالكتابة الى حكمدار السودان ، يخبره بقوله :

« لما كان من واضح الأمور مبلغ استهجان هذا النظام لدى الدولة المشار اليها ( بريطانيا ) فقد اوجب الفاؤه مراعاة لما بيننا وبين هذه الدولة من روابط الصداقة المتينة ، وعليه فيجب أن تكونوا فيما بعد من اعطاء العبيد والجواري ، بدلا من العلوقة ، واما أن تلتزم أن الأخذ بهذا النظام يعود على الميرى بفائدة ، فأقول لكم دعوا هذه الفائدة في جانب ، فانا مستعد لقبول اضرار والخسارة في هذا العمل ، ولذلك اطلب اليكم وبصورة قطعية ان تلغوا هذا النظام المذكور » (٥٠) واضاف محمد على أيضا في خطاب آخر قوله :

« نحن نلقت نظركم الى وجوب عدم بيع هؤلاء العبيد ، بأى حال من الاحوال ، وانما عليكم أن تعملوا على اعادتهم الى أوطانهم ، لأن بيعهم يثير ثائرة الافرنج ، ويجعلهم يحملون علينا من جديد ، فاياكم وبيعهم ، فلو

---

= الانجليزي أن يصدر قانونا عام ١٨٣٢م ، حدد بمقتضاه أن يوم أول أغسطس عام ١٨٣٤م هو يوم تحرير جميع الأرقاء في كافة الممتلكات البريطانية ، وقد خصص البرلمان الانجليزي مبلغ عشرين مليوناً من الجنيهات ، لدفع تعويضات الى الأشخاص الذين سوف يفقدون عبيدهم نتيجة لهذا القرار . وعند حلول عام ١٨٤١م كانت بريطانيا ، قد حررت من الرقيق ما يقرب من ١٢ مليون من العبيد في املاكها في الهند الشرقية ، وحذا حذو بريطانيا كل من السويد التي أطلقت الرقيق في الفترة ما بين عامي ١٨٤٦ - ١٨٤٧م وفرنسا والديمرك في عام ١٨٤٨م ، وهولندا في عام ١٨٦٢ ، ثم تلتهم اسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية . انظر كتاب ( تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل ) للاستاذ الياس الأيوبي صفحة ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٥٠) د/مكي شبيكه - المصدر السابق ، ص١١٩

علمتم ذلك ، لما قبلنا منكم اى عذر واذا كنتم قد بعتم احدهم قبل صدور امرنا هذا عليكم ان تعملوا على استرداده ، ولا بد من تعيين عقوبة صارمة لكل من يقدم على بيع اى عبد منهم » . (٥١)

لما علمت جمعية الغاء الرق **The Anti Slavery Society** بالاجراءات التى اتخذها محمد على ارسلت اليه ريتشارد مادن **Richard Maden** احد اعضاء هذه الجمعية لكى يقوم بتقديم الشكر الى محمد على ، وكان برفقة هذا المنسوب اثناء هذه المقابلة ، هو **Hodges** القنصل البريطانى فى مصر ، وكان محمد على قد اخبره بان العمل على الغاء الرق دفعة واحدة يعتبر من الامور الصعبة ، لانه اصبح عادة متأصلة فى كيان الاسر الاجتماعى حتى انهم اذا لم يجدوا الرقيق متوفرا فى الاسواق يادروا بالشكوى (٥٢) .

لم تقف جمعية الغاء الرق من تجارة الرقيق موقف اللامبالاة ، بل ارسلت عام ١٨٤٢م خطابا الى محمد على تحثه فيه على ضرورة العمل السريع والجاد لوقف هذه التجارة (٥٣) . ويعد ان تسلم محمد على خطاب الجمعية اصدر تعليماته من جديد الى حكام السودان التى كانت تقضى بالعمل الجاد على وقف تجارة الرق بكل صورها ، زيادة على ذلك فانه عين على كل مديرية من مديرى السودان مديرا برتبة باشا وذلك ليقوم كل منهم بمتابعة العمل على الغاء الرق (٥٤) .

يبدو ان الاجراءات التى اتخذها محمد على ضد تجارة الرق لم تات بالنتيجة المرجوة مما اضطره الى ان يكتب الى حكام السودان ليذكره بما سبق ان اخبره به ، وذلك بقوله :

« سبق منى ان بينت لك ان الاتجار فى الرقيق بيما وشراء ، ممنوع فاهجم على التجار ، وكف ايديهم عن الافعال التى يفعلونها وادبهم ، ولا تأخذ

(٥١) د/ مكى شيبكه — نفس المصدر ص٧٩ .

(٥٢) د/ مكى شيبكه — نفس المصدر ص٧٩ .

(٥٣) د/ محمد نؤاد شكرى : المصدر السابق ص ١٦٤ .

(٥٤) محافظ السودان — دفتر ١٠ عابدين وثيقة ١٢١ ص١٧ عام ١٨٤٤م

منهم أسيرا واحدا في أثناء الغارة عليهم بل أخذ ما يصلح منهم للجندية ،  
وان كنت في غير حاجة اليهم فارسلهم الى المديرية الأخرى ، ثم أرجع  
الكبار في السن وكذلك الصغار ، وأيضا ضعاف الأجسام الى مساكنهم» (٥٥) .

من الملاحظ أن محمد علي كان جادا في العمل على وقف تجارة الرق في  
أفريقيا والدليل على ذلك ما اتخذته من إجراءات عديدة ، كان يهدف من ورائها  
بطبيعة الحال الى إلغاء هذه التجارة ، زيادة على ذلك فإنه لم يعد في حاجة  
الى العبيد وخاصة بعد أن حدد عدد الجيش بثمانية عشر الفا من الجنود  
وبعد أن فشلت النهضة الصناعية في مصر بسبب منافسة الصناعات  
الأوروبية لها (٥٦) .

---

(٥٥) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٩٣ صادر ديوان المعية ،  
وثيقة ٧٦ في ٢٨ رمضان سنة ١٢٦١ الموافق ١٨٤٥م .

(٥٦) د/ أحمد أحمد الحته : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن ١٩ ،  
المصدر السابق ، ص ٤٣ .

obeikandi.com

## الفصل الثاني

### الثروة الحيوانية

تعتبر الثروة الحيوانية في أى بلد من بلدان العالم ، العنصر الأساسى في ثروة هذا البلد القومية ، بل ربما تتفوق على غيرها من باقى الثروات الأخرى ، كالثروة الزراعية مثلا أو الصناعية . ويرجع ذلك لأنها كانت ولا زالت تمد الانسان بما يحتاجه من مواد غذائية كبيرة الفائدة ، تتمثل في اللبن ومشتقاته ، وفي اللحوم والشحومات والجلود ، ، زيادة على ذلك فانها تساهم بتوسط وافر في كافة الأعمال الزراعية ، وبصفة خاصة في معظم بلدان العالم النامى ، على الرغم من التقدم العلمى الملحوظ في وسائل ميكنة الزراعة التى تسود بلاد العالم المتحضر .

#### ١ - المائثية :

أدرك محمد على هذه الأهمية بالنسبة للثروة الحيوانية وخاصة بعد أن تعرضت المائثية المصرية الى التناقص ، الذى من المرجح أن يكون السبب المباشر في حدوثه هو كثرة الحروب التى خاضتها مصر ، منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وحتى أوائل القرن التاسع عشر ، أى منذ عام ١٧٩٨ وحتى عام ١٨١٩ ؛ فقد خاضت مصر خلال هذه الفترة عدة حروب منها الحرب التى خاضتها ضد الحملة الفرنسية في الفترة ما بين ١٧٩٨م وحتى ١٨٠١م ، والحرب التى خاضتها ضد حملة فريزر عام ١٨٠٧ والحرب التى خاضتها في نفس السنة ضد المماليك ، والتي بها تخلص محمد على من قوتهم ومن زعيمهم محمد بك الألفى ، أحد قادتهم البارزين ، والحرب التى خاضتها ضد الوهابيين في الفترة ما بين ١٨١١ وحتى عام ١٨١٩م (١) .

(١) عبد الرحمن الرفاعى - المصدر السابق ، صص ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٦

من المعروف أن الناس في أثناء الحرب لا يتمكنوا من ممارسة أعمالهم على الوجه الأكمل ، بل نجدهم يكرسون جهودهم نحو مساندة جيوشهم سواء اكان ذلك عن طريق تزويد هذه الجيوش بما تحتاج اليه من مؤن أم بالتطوع في صفوفها وترك الأعمال الأخرى ، الى ما بعد الحرب ، وفي الحالتين ، فإن ذلك لا يؤثر على الثروة الحيوانية وحدها ، بل يصيب أيضا باقى القطاعات الاقتصادية الأخرى بالشلل . زيادة على ذلك فإن الدولة أثناء الحرب تستهلك كميات كبيرة من اللحوم اللازمة للجند ، وهذا يؤثر بالتالى على حجم الثروة الحيوانية ، من حيث التناقص في أعدادها ، بالإضافة الى ذلك فإن الماشية المصرية كانت قد تعرضت في عام ١٨٢٤م الى الوباء الذى قضى على اعداد كبيرة منها ، والى القحط الذى أصاب المراعى المصرية نتيجة للجفاف الشديد الذى ساد البلاد (٢) ونتيجة لهذه الظروف اضطر محمد على الى أن يبحث عن مصدر آخر ، يجلب منه الأعداد اللازمة من الماشية كى يعوض بها مافقده الماشية المصرية من نقص ، وبعد البحث والدراسة قرر أن يحصل على احتياجاته من الثروة الحيوانية من السودان الفنى بثروته الحيوانية (٣) المثلة في الأبقار وغيرها من الحيوانات الأخرى .

(٢) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠ وثيقة ٣٨١ في ٢١ شوال سنة ( ١٢٤١ الموافق ١٨٢٥م ) .

(٣) من المعروف أن السودان غنى بثروته الحيوانية التى تتمثل في الأبقار والى توجد بكثرة في جنوب السودان وخاصة في المنطقة التى تمتد حتى خط عرض ٣ شمال خط الاستواء ، وكان للابتقار مكانة مرموقة لدى القبائل السودانية ، فكانت مظهرا من مظاهر الفنى والجاه ، فبكثرة عددها كان يتفاخر القوم ويتباهون ، وكانت أداة للتعامل ، فكانت تدفع بها المهور عند الزواج ، وكانت تقدم منها الدية عند القتل ، وكانت تقرب منها القرابين للالهة في المناطق الوثنية واشهر القبائل التى تقتنى الأبقار هى قبائل البقارة والشلك والدنكا والنوير والرزيقات وغيرها كثيرون ، والى جانب الأبقار وجدت الابل التى توجد بكثرة في السودان الشمالى ، وكان لايمكنا أن تعيش في السودان الجنوبى ، وذلك بسبب انتشار الذباب الذى تسبب لدغاته مرض الغفار ، الذى يصيب الجمال بالفناء ، وكان لايمكن للجمال أن تتعدى خط عرض ١٨ شمال خط الاستواء ، وذلك لقلّة العشب في المناطق الشمالية لهذا الخط،

عندئذ كتب خطابا الى حاكم السودان يطلب منه ان يرسل له ٤٠٠٠ من الثيران السودانية ، وأوصاه ان يهتم بهذا المطلب ويتضح ذلك من خطابه الذي جاء فيه ما نصه :

« بسبب الشراقي ( القحط ) الذي حصل لحكمة يعلمها الله تعالى في الاقاليم المصرية بالعام الماضي ( ١٨٢٤م ) قلت المواشى كالثيران والجاموس والغنم والابقار ، وهزل الموجود منها ، فترغب في زيادتها لتأمين السكان وجماعة دائرتنا ، لتسخيرها في السواقي وسائر الاعمال المؤدية الى عمران البلاد ، ويلزم ارسال ٤٠٠٠ ثور وعليك ان تبذل غايتك باعداد الوسائل التي تضمن وصولهم حتى لا تتلف في الطريق » (٤) .

لم يكتب محمد على بارسال هذا الخطاب الى حاكم السودان بل ، نجده يتخذ من جانبه عدة اجراءات تكفل له جلب أكبر عدد ممكن من هذه الماشية، وكان من أول هذه الاجراءات التي اتخذها محمد على هو أنه أصدر قرارا يقضى بتعيين واحد وعشرين جنديا من جنود الجهادية تحت رئاسة ضابط برتبة ملازم ثاني (٥) وذلك للقيام بمهمة جلب الماشية من السودان ومن الواضح

---

= وهذا ما لاتتحمله الجمال ، ومن اشهر القبائل التي تقتنى الابل قبائل البجا، التي تعيش في شرق النيل ، وقبائل الكبابيش التي تعيش في غربه . لم تقتصر الحيوانات على الابقار والابل فحسب بل يوجد أيضا الجاموس البرى الذي يربى بكثرة في منطقة النيل الأزرق ومنطقة نهر السوبات وتوجد أيضا الاغنام والماعز وخاصة في السودان ، الشمالى ، زيادة على ذلك فان السودان غنى بالحيوانات البرية العشبية ، وغيرها من الحيوانات البرية المفترسة ، وكذلك غنى بأنواع عديدة من الطيور المختلفة الاشكال والالوان . انظر كتاب ( السودان ) تأليف ذ. محمّد محمود الصياد ، د. محمد عبد الفنى سعودى صفة ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٨ .

(٤) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠ معية تركى وثيقة ٣٨١ فى ٢١ شوال سنة ١٢٤١ الموافق ١٨٢٥م .  
(٥) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠ معية تركى — وثيقة ٤٠٦ فى ٢٣ الحجة سنة ١٢٤١ الموافق ١٨٢٥م .

أن هذا العدد كان قليلا ، ولا يتناسب مع أعداد الماشية المطلوبة ولكن ربما كان هذا العدد بمثابة مقدمة ، لبقية الأفراد الذين سوف يعينون للعمل في جلب الماشية السودانية ، والذين سوف يخصص لكل منهم عمله الخاص ، فمنهم من كان سيعمل في فرز الماشية وكان هذا العمل يقوم به الضباط والأطباء البيطريون ، وكان منهم من سيعمل في سوتها والبعض الآخر يعمل في تقديم الملف إليها . ويبدو أن محمدا عليا أرسل الى السودان فيما بعد بقية الأفراد المكلفين بهذا العمل .

ولكى يتأكد محمد علي من وصول الماشية السودانية كاملة غير منقوصة طلب من حاكم السودان ، أن يقوم بوشم (٦) الماشية التي ترسل من السودان الى مصر ، حتى لا يتمكن السواقون والحراس من تغيير أو بيع احداها في اثناء الطريق (٧) زيادة على ذلك فانه امر باعداد عدد من الشون على طول

٦ - كانت عملية الوشم هذه معروفة لدى جميع القبائل السودانية ، فكانت كل قبيلة تقوم بوشم حيواناتها من ابل وماشية ، بطريقة معينة حتى يمكن لكل منها ان تتعرف على حيواناتها بسهولة ، عندما تختلط بحيوانات القبائل الأخرى ، وكانت عملية الوشم هذه تتم بواسطة قطعة من الحديد ، كانت تحمى في النار ثم يكوى بها الحيوان المراد وشمه ، أما على أحد فخديه وأما على عنقه ، وكانت عملية الوشم هذه تأخذ أشكالا عدة ، فمنها ما يأخذ شكل شرطة مستطيلة أو شكل شرطتين متوازيتين ، ومنها ما يأخذ شكل دائرة ، ولا زالت هذه العادة تستخدم في السودان حتى اليوم ، ولم يقتصر الوشم على الحيوانات ، بل شمل أيضا الأشخاص ، فكانت كل قبيلة تقوم بوشم أبنائها على الوجه ، وقد أخذ وشم الأبناء أشكالا مختلفة ، فاما أن يكون الوشم على شكل شرط رأسية ومستقيمة ، او على شكل شرط أفقية . ويبدو ان الغرض من ممارسة هذه العادة تمييز أفراد القبيلة عن بقية القبائل الأخرى . وهناك بعض القبائل مثل تبائل الشلك والدنكا اتخذت لنفسها بعض العادات الأخرى ، مثل خلع الأربع قواطع الامامية من الفك الأعلى ، بينما تبائل النوبر ، كانت تخلع الأربع قواطع السفلى .

(٧) محفظة ٥ قرارات مجلس ملكية وجهادية ، وثيقة ٨ في ٢٠ المقدمة سنة ١٢٤٣ الموافق ١٨٢٧م .

الطريق الذي تسلكه الماشية في رحلتها ، وكان الغرض من انشائها هو ان يخزن فيها العلف اللازم للماشية الذي كان يتمثل في التبن والقصل والقش والحبوب ، وكانت الماشية السودانية لا تميل الى تناول الفول والذرة ، ويبدو انها كانت لم تتعود على تناولها من قبل ولكنها كانت تميل الى تناول باقى الاعلاف السابق ذكرها ومن المرجح أن تكون قد تعودت على تناول الحبوب بعد مجيئها الى مصر وقد حدد سعر حمل التبن الذي يزن ٢٠٠ كغته بسعر ٥٤ قرشا وحدد سعر حمل البوص الذي يزن نفس الكمية باثنين ونصف قرشا .

ولكن لما عرضت قبية هذا السعر على محرم آغا الذى كان مسئولاً عن ديوان الماشية استكثر هذه الأثمان ، وطلب ان يكون ثمن حمل التبن مائة فضة ، وثمان الحمل من البوص ستون فضة ، ولما عرض الأمر على محمد على ، اناد بأنه اذا كان السعر الأول يتضمن النقل والمسال فهو مناسب لحاجتنا ، واما اذا كان لايتضمنها فهو غير مناسب ، وعندئذ يكون السعر الذى حدده محرم آغا هو الأنسب (٨) .

بعد وصول أعداد من الماشية السودانية الى مصر تلاحظ أنها تضم بينها بعض الماشية الضعيفة والهزيلة ، بل والمريضة أيضا ، يبدو أنه لم تجر عليها عمليات الفحص الدقيقة لاختيار الأحسن وترك الأردأ . ولكن لما علم محمد على بذلك قرر تعيين عدد من الأطباء البيطريين في كل من كردفان وسنار والتاكة وبربر واقليم الجعليين وبلدة الدبة (٩) وذلك للقيام بمهمة فحص الماشية السودانية قبل مجيئها الى مصر وذلك لاختيار الأصح منها ، وترك المريضة والمسنة والضعيفة ، فمن المؤكد أن يكون الأطباء البيطريون أجدر من غيرهم في القيام بهذه المهمة ، وكان محمد على قد اشترط ان لاتزيد مدة خدمة هؤلاء الأطباء في السودان عن سنتين (١٠) .

- 
- (٨) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٧١ معية تركى — وثيقة ٤٣٦ في ١٥ الحجة سنة ١٢٥١ الموافق سنة ١٨٣٥م .
- (٩) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٢٠ عابدين ، وثيقة ٣٥٥ في ٢٣ القعدة سنة ١٢٥٢ الموافق ١٨٣٦م .
- (١٠) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٧٩ معية تركى وثيقة ٧٧٧ في ٢٣ القعدة — سنة ١٢٥٢ الموافق ١٨٣٦م .

ومن المرجح ان يرجع السبب في ذلك الى عدة عوامل منها ان محمدا عليا كان يخشى ان يقوم هؤلاء الاطباء بعمل علاقات صداقة مع المديرين ، او التجار او غيرهم من الوطنيين فيؤدى ذلك بالتالى الى ان يهملوا في عملهم ، ومنها انه كان يخشى عليهم ايضا ان يتعرضوا للأمراض الخطيرة التى تحدث ، نتيجة لقسوة مناخ السودان .

ومن الواضح ان يكون محمد على قد ارسل هؤلاء الاطباء البيطريين الى السودان ، كى يقضى على ظاهرة مجيء الماشية الضعيفة ، التى اتخذ السواقون منها ذريعة للكسب غير المشروع . فكانوا يبيعونها الى سكان البلاد التى يبرون من خلالها بائمان بخسة ، لا تتعدى ٢٥ ، ٣٠ ، ٤٥ قرشا بالنسبة للراس الواحد (١١) وبالطبع كانوا يبيعون الماشية السليمة الى جانب الضعيفة . وكان هؤلاء السواقون يستندون في بيعهم لهذه الماشية الى اسباب واهية تتمثل في عدم قدرتها على مواصلة السير وملاحقة باقى القطيع . لذلك كان محمد على يتابع الماشية القادمة من السودان عن كثب ، حتى يطمئن بنفسه على وصولها سليمة فكان يخرج في بعض الأحيان لملاقاتها في الطريق ، قبل وصولها الى الجيزة وقد تصادف في مرة من المرات ان رأى في أحد القطان القادمة الى مصر ثورا مريضا لايقوى على السير ، فأمر على الفور مأهور قسم الواسطى بان يأخذ هذا الثور ويسلمه الى احد مشايخ البلاد كى يعتنى به حتى تتحسن حالته ، عندئذ يرسل هذا الثور بالتالى الى الجيزة ، وطلب محمد على ايضا انه في حالة نفوق الثور يسلمه جلدته ويرسل الى ديوان الجفالق ، وفي حلة دبحه يباع لحمه ويتحصل ثمنه ويرسل مع جلدته الى ديوان الجفالق أيضا (١٢) .

كانت الماشية السودانية اثناء رحلتها الطويلة من السودان الى مصر تتعرض لبعض الأضرار ، التى تتمثل في تآكل اظانرها ، التى كانت تعوقها في بعض الأحيان عن مواصلة السير ، مما يشجع السواقون على بيعها اثناء الطريق حتى لا تعوق تقدم القطيع ولكن لما علم محمد على بذلك امر بوضع قضيعة

---

(١١) محفظة ٤ ملكية ، وثيقة ٢٦٤ في ٢٥ ربيع اول سنة ١٢٥٢ المرافق ١٨٣٦م .

(١٢) محافظ ابحاث السودان — دفتر ٨٥ معية تركى وثيقة ١١٠ في شهر القعدة سنة ١٢٥٢هـ الموانق ١٨٣٦م .

من الليف حول اظلاف الماشية كى تحميها من التآكل (١٣) وترجع أسباب تآكل اظلاف الماشية الى طول المسافة التى كانت تقطعها ، والى المسير فى بعض المناطق الحصوية وكذلك الى المسير مسافات طويلة دون توقف فى المحطات المخصصة لراحة الماشية .

أدى مسير الماشية مسافات طويلة انى اصابتها بالضعف والهزال فاضطر محمد على ازاء هذا الى أن يصدر تعليماته ببيع المريضة منها والتى تلد فى الطريق حتى لا تنفق ، وحتى لا تصاب الدولة بالخسارة زيادة على ذلك فانه قرر أن يمنح مكافآت مالية مجزية للأفراد الذين يقومون بسوق الماشية ، كى يجتهدوا فى خدمتها والحفاظة عليها ، فتقرر أن يصرف سبعة قروش للفرد، الذى يأتى بالماشية من كردفان ، ٦ ستة قروش للفرد الذى يأتى بها من سنار، ٤ قروش للفرد الذى يأتى بها من دنقلة ، وقد صدرت تعليماته الى مديري المديرية بأن يصرفوا هذه المبالغ الى السواقين من خزائن مديرياتهم .

يبدو أن هذه الاجراءات السابقة لم تؤد الفرض المطلوب منها فاضطر محمد على أن يلجأ الى مدرسة الطب البيطرى ، كى تقدم له بعض الدراسات العلمية ، التى يمكن بواسطتها التغلب على كافة العقبات والمشاكل ، التى تعترض وصول الأعداد المطلوبة من الماشية السودانية ، وبالفعل قدمت له هذه المدرسة دراسة خاصة ، تضمنت تقسيم الماشية السودانية الى قسمين الأول منها ويضم الماشية المصابة بالأمراض والمسننة والعرجاء ، وقد تقرر ضرورة بيع السمينة منها أو ذبحها ومعالجة الهزيلة والعناية بها حتى تسمن وتباع بالتالى ، ويضم القسم الثانى الماشية الصغيرة والكبيرة فى السن معا ، وقد تقرر بالنسبة للماشية الصغيرة السن أن تذبح أو تباع ، وأما الكبيرة فتقرر أن توزع على المديرية المحتاجة لها (١٤) .

لم يكتب محمد على بهذه الدراسة التى قدمتها مدرسة الطب البيطرى ، بل نجده يقرر أن يحسن السلالة السودانية ، وذلك بتنزيه الثيران المصرية

- 
- (١٣) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٨٤ معية تركى ، وثيقة ٣٠٨ فى ١٤ صفر سنة ١٢٥٣ هـ الموافق ١٨٣٧ م .
- (١٤) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٨٤ معاونة ملكية — وثيقة ٦٤٠ فى ٢٤ جماد ثان ١٢٥٧ الموافق ١٨٤١ م .

( البلدية ) مع الأبقار السودانية (١٥) هادفاً إلى زيادة وتحسين الثروة الحيوانية في مصر .

وعندما كانت الماشية السودانية تتعرض للوباء أثناء قدومها الى مصر ، كان محمد على يأمر بوقف قدومها بحيث تبقى في المناطق التي وصلت اليها وتستمر فيها مدة من الزمن ، حتى تخف حدة هذا المرض (١٦) وكانت أثناء هذه المدة تطلق في مزارع البرسيم الموجودة في اسنا بالاضافة الى تزويدها ببعض الاعلاف الأخرى كالتبن والفلو (١٧) وبعد أن يتم شفاؤها تستأنف السير الى مصر وكان محمد على لايتهاون مع المسئولين عن جلب الماشية السودانية (١٨) .

زيادة على ذلك فان محمدا عليا ، أمر باعفاء الماشية السودانية من كافة الرسوم الجبركية ، حتى يمكن له جلب أكبر عدد ممكن منها (١٩) لأن

---

(١٥) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٢٤ معاونة جنالقي ، وثيقة ٥١٠ في ١٣ جماد ثان سنة ١٢٥٧هـ الموافق ١٨٤١م .

(١٦) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠٩ معاونة اقايم وثيقة ١٤٦ في ١١ صفر عام ١٢٥٩ الموافق سنة ١٨٤٣م .

(١٧) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠٩ معاونة اقاليم وثيقة ٣٢٠ في ٢٠ ربيع اول سنة ١٢٥٩ الموافق سنة ١٨٤٣م .

(١٨) يبدو أن وقف جلب الماشية في فترة انتشار المرض جعل البلاد في حاجة شديدة اليها ، مما اضطر محمد على الى أن يرسل من طرفه الى السودان مأمور جديد لجلب الماشية هو القائمقام عيسى أفندي وكان بصحته الملازم اول احمد عوني ، كى يقوما معا بجلب الماشية السودانية الى مصر من جديد ، ولكن بعد أن وصلا الى أسوان رفض الملازم احمد عوني الذهاب الى السودان ، فاضطر عيسى أفندي أن يخبر محمد على بموقف هذا الضابط فبمجرد أن علم محمد على بذلك أمر برفته من الخدمة وتجريده من رتبته العسكرية .

انظر دفتر ٢٨٩ شورى المعاونة ، وثيقة رقم ٨٨٢ في ٣ صفر سنة ١٢٥٩ الموافق ١٨٤٣م .

(١٩) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٦٩ معية تركي وثيقة ٤١٠٨ في ٢٣ رجب سنة ١٢٥٩ الموافق ١٨٤٣م .

زيادة عددها سوف يتيح للفلاحين الحصول على الاعداد اللازمة لهم من هذه الماشية ، وبأسعار مناسبة ، بالإضافة الى ذلك فان الغاء الرسوم يؤدي الى سرعة وصولها الى مصر .

كان محمد على يتابع باهتمام اعداد الماشية التي تصل الى مصر وذلك من واقع الكشوف التي كائت تحرر بمعرفة ضباط المحطات ، الذين كانوا يرسلونها كل خمسة عشر يوما (٢٠) .

انشأ محمد على ثلاث معالف للماشية السودانية يسع الواحد منها ٤٠٠٠ رأسا من الماشية في كل من سقارة ، والجيزة وامبابة (٢١) ويبدو ان الغرض من انشاء هذه المعالف كان بمثابة مركز لتقديم العلف والراحة اللازمين للماشية القادمة من السودان ، وكانت ايضا بمثابة اماكن تجميع للماشية ، فمنها كانت توزع على باقى المديریات ، وكان محمد على يحرص على تجديدها من وقت لآخر ، واذكر على سبيل المثال ، أنه عندما علم بأن معلف الجيزة كان في حاجة الى تحديد مبانيه ، امر ناظر الابنية باعادة تجديده ، وقد بلغت تكاليفه نحو ٨٢٤ قرشاً ، ٣٤ بارة ، ولكن محمد على استكثر هذا المبلغ ، وطلب من أحد المهندسين من ذوى الخبرة في فن الترميم والبناء ، أن يقوم بمعاينة عمليات التجديد ، وبعد المعاينة تقرر ان تكاليف التجديد لانتعدى ٥٧٢ قرشاً ، ٤ بارة (٢٢) .

كان من المتبع أن تقضى الماشية السودانية بعض الوقت في معالف الجيزة ، بعدها يبدأ ديوان المواشى في توزيعها على الجفالق المختلفة ، والتي كانت تتمثل في جفالق الشرقية ( مينا القمح - الصوالح - وعنايد - وميت العز -

---

(٢٠) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٣٦٩ معية تركى وثيقة ١٦٦٤ في ٢٩ رجب سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

(٢١) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٢٨٩ شورى المعاونة ، وثيقة ٢٧١٩ في ٥ شعبان سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م

(٢٢) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٢٨٩ شورى المعاونة ( نفس الوثيقة ) .

وميت حادوس ) والغربية ( المحلة الكبرى — طنطا ) — والدقهلية نبروه — اجا ) ، وكفر الشيخ والقليوبية ( شبرا — قليوب ) والفيوم وبنى سويف ، وقنا ( أرمنت — الرزيقات — اسنا ) وسوهاج ( جرجا ) ( ٢٣ ) ، وعند وصولها الى الجفالي الجديدة كان ناظر المواشى يشرع في توزيعها على الفلاحين بأسعار معتدلة ، بحيث لا ترهق كاهلهم ، وكانت هذه الأسعار تتراوح فيما بين ١١٨ ، ٦٠ بارة ، ١٢٠ قرشا للرأس الواحد ( ٢٤ ) وفيما بعد ارتفع سعر الماشية وأصبح يتراوح فيما بين ١٧٣ ، ٢٠٠ قرشا للرأس الواحد ، وربما يرجع هذا الارتفاع في أسعار هذه الماشية الى زيادة الطلب عليها ومن المرجح أن يكون السبب هو قلة الوارد منها ولم يقتصر توزيعها على الفلاحين فقط ، بل وزعت أيضا على جنود الجهادية الذين كانوا يعملون في حفر الترع وكذلك وزعت على ضباط الجيش وعلى الفبارك ( ٢٥ ) .

لم يفصل محمد على عن متابعة اخبار الأبقار التي تم توزيعها على الفلاحين ، فكان يشتد غضبه عندما يعلم بموت أى عدد منها في أى مديرية من المديريات ، فكان يقوم بتأنيب المتسبب في موت هذه الماشية ، ويمكن التذليل على ذلك بقوله الى مدير جنفك الصوالح التابع لمديرية الشرقية ما نصه :

« اننا سنضع ملحقا للقانون الخاص بالاهمال في الماشية بواسطة لجنة الحقانية ، وستلقى عقابك بموجب هذا القانون . . . . أنك تبيت الماشية باهمالك ولا تفكر في نفس الوقت في أن يكون لها انتاج ، كفى ايها الخنزير ، كفى ايها الخنزير اننا ننزك بموجب هذا العقاب بشأن هذه الماشية ( ٢٦ ) » .

( ٢٣ ) أنظر محافظ أبحاث السودان .

( ٢٤ ) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٦٩ معية تركى ، وثيقة ١٥١١ في ٢٥ رمضان ١٢٥٩ هـ الموافق سنة ١٨٤٣ م .

( ٢٥ ) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٧٦ صادر ديوان المعية الملكية وبيقة ٤٨٦ في ٢٧ صفر سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

( ٢٦ ) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٧٨ معية تركى ، وثيقة ٣٦٤ في ٢٠ شوال سنة ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م .

لم تقتصر تحذيرات محمد على على مأمورى الجفالق ، وإنما شملت أيضا مأمورى جلب الماشية ، فكان يحذرهم بين الحين والآخر ، فعندما طلب عيسى أفندى مأمور جلب الماشية السودانية ، الاستحقاقات المالية الخاصة بالأفراد الذين كانوا بمعيتة قال له محمد على ما نصه :

« . . . . عليك قبل أن تمنع فى الشكوى من عدم صرف الرواتب الخاصة بمن بمعيتك ، أن تذكر إجراءاتك فى العمل الذى عهدنا اليك به ، ولكذك لم تذكر أى شىء عن مهام عملك والافعاقتك وخيمة (٢٧) » .

وكذلك لم ينج مأمورو المديرية السودانية من التائب أيضا من جانب محمد على ، وخاصة عندما كانوا يتأخرون فى ارسال الماشية المطلوبة من مديرياتهم ، ويتضح ذلك من خطابه الى مدير التاكه الذى جاء فيه :

« ما معنى هذا البطء الدال على الكسل ، وما هى الفائدة من خدماتك اذا تأخر وصول الماشية ، ولم تجن منها البلاد ثمرة ، فماذا يكون موقفك عندما ترسل جميع المديرية المواشى المطلوبة منها ، وتظل أنت على وضعك انحالى ، الا يحل بك العقاب ، اذ ذاك ، نحن لا نريد بعد الآن ، سماع الاعذار ، فأعمل على ارسال جميع المواشى المطلوبة منك واعرض علينا خبر ذلك ، والا علم الله أن حالك سيكون سيئا (٢٨) » .

وفى نفس الوقت طلب محمد على من مأمور جلب المواشى السودانية سليم بك الحجازى ، أن يسرع هو بالتالى فى ارسال الماشية ، على شرط أن تكون من المواشى الثمينة والخالية من الأمراض وفى هذا الصدد يقول له :

« انك لو سعيت الى جمع الماشية السودانية بشىء من الهمة لكانت هذه الماشية قد جمعت وأرسلت الى مصر ، نحن لم نرسلك الى هناك ، لتعبد الى

---

(٢٧) محافظ ابحاث السودان — دفتر ٣٧٨ معية تركى وثيقة ٣٥٥٦ فى ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م .

(٢٨) سجل رقم ٣٩٦ معية تركى وثيقة ٣٨٤ فى ٢٣ شوال سنة ١٢٦٠ هـ الموافق سنة ١٨٤٤ م .

النوم والكسل ، وانما لكى تعمل على ارسال المواشى بسرعة ، ثم ما انقادة  
من ارسالك الى هناك ، ما دامت المواشى لم تصل الى هنا فى الوقت الملائم ،  
وعليه فنطلب منك ان تبذل قصارى الجهد فى سبيل وصول المواشى الى هنا فى  
اقرب وقت ممكن ، وعليك ايضا ان تخبرنا بانك قد ارسلت جميع المواشى ،  
والامادة ، فان مصرك سيكون مرعبا (٢٩) » .

من الملاحظ ان محمد على كان يكرر مطلبه الخاص بضرورة جلب الماشية  
السمنية القوية والصالحة للعمل الزراعى ، وفى هذا الصدد يخاطب مأور  
جلب الماشية السودانية بقوله

« ان السبب فى ارسالك يا ولدى يا سليم هو ان تنظر انت بعينك المواشى  
المطلوبة فتختار منها السمنية القوية والصالحة للزراعة ، وترسلها ، غباء  
على ذلك انظر كل بقرة وثور على حدة بعينيك وارسله ، ولا تسمح بارسال  
شئ منها لم تره انت (٣٠) » .

ذكر سليم بك الحجازى ان السبب فى ضعف الماشية السودانية يرجع  
الى نقص الاعلاف ، واتهم مديرى المديرية بعدم ارسال العلف اللازم للماشية ،  
وخاصة من جانب مدير دنقلة ، فاضطروا مجهدا على الى ان يحذر مدير  
دنقلة بقوله :

« ايها الخنزير اتريد اتلاف الماشية جريا وراء احقادك ، ان المصلحة  
العامة لاتخدم بمثل هذه العدوات والخصومات ، فارجع عن غيك ووفر للماشية  
عليها فى الوقت المناسب ، والا فستكون انت المسئول عن تلف يحل  
بالماشية (٣١) » .

- 
- (٢٩) محافظ ابحات السودان — دفتر ٣٧٨ معية تركى وثيقة ٣٥١١  
فى ٢٣ ثوال سنة ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م .
- (٣٠) محافظ ابحات السودان — دفتر ٣٧٦ صادر ديوان المعية ،  
وثيقة ٧٤٦ فى ١٥ ربيع اول سنة ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م .
- (٣١) محافظ ابحات السودان — دفتر ٣٧٨ معية تركى وثيقة ٥١١ فى  
٢٥ ذى القعدة سنة ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م .

وعلى الرغم من كل هذه التحذيرات فان ارسال الماشية المريضة استمر حتى ان الأطباء البيطريين حذروا الناس من عدم تناول لحومها ، خوفا على صحتهم وطالبوهم بترك الماشية المريضة حتى تنفق ، ولكنهم واقتوا في نفس الوقت على ذبح الماشية الكبيرة في السن وتناول لحومها .

أعتقد محمد على ان السبب في ضعف ومرض الماشية السودانية ، يرجع الى طول المسافة التي تقطعها هذه الماشية ، لذلك قرر انشاء عدد من المحطات ( الزرائب ) كي تستريح فيها الماشية عند الوصول اليها ونيتها كان يقدم لها كل ماتحتاجه من أعلاف ومياه ، وزيادة على ذلك فانه عين على كل زريبة ضابطا برتبة ملازم وذلك للإشراف عليها (٢٢) وقد روعى عند اعداد هذه الزرائب ( المحطات ) ان تكون قريبة من مناطق العمران ، ومن شون العلف ومصادر المياه ، وكانت تجهيزاتها بسيطة ، بحيث لاتتعدى قطعة من الأرض المحاطة بسور من الطين أو من افرع الأشجار وقد اشترط ان تكون هذه الزرائب قريبة من بعضها ، بحيث لاتزيد مسافة المسير بين المحطة والأخرى عن عشر ساعات تقريبا وقد بلغ عدد هذه المحطات ما يقرب من ٩٤ محطة ، وكانت الأولى منها تبدأ من بلدة سودانية تسمى بلدة الطيرة الخضرة (٣٣) التي تقع الى الجنوب من مدينة الخرطوم وكانت الأخيرة من هذه المحطات توجد عند اسوان ، وقد بلغت جملة ساعات المسير بين هذه المحطات نحو ٤٨٢

---

(٣٢) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٧٦ صادر ديوان المعية ، وثيقة ٧٤٩ في ٢٦ صفر سنة ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م .

(٣٣) بلدة الطيرة الخضراء — هي إحدى قرى السودان الشمالي ، وتقع عند قمة جبل ضخم يبلغ ارتفاعه حوالي ٣٠٠٠ مترا فوق سطح البحر ، وتقع على مسافة ٣٥ ميلا من بلدة تالودي مركز رئاسة جبال النوبا ، بكردفان، وجبل الطيرة الخضراء منتطع في أماكن عديدة ، حيث يوجد به قليل من الوديان، وبعض الهضاب ، ويسكن أهالي النوبا قمم هذا الجبل ، ويقطن بلدة الطيرة — الخضراء عدة آلاف من السكان الذين يمتلكون قطعانا كثيرة من الماشية ، فيبدو أنهم من قبائل البقارة ، وكان لهم خبرة في سرقة المواشي ، وكانوا يحملون معهم بنادق قديمة ، يبدو أنهم حصلوا عليها من جنود الجهادية ، وكانت هذه البنادق تعمل بالكبسول .

ساعة (٣٤) وبلغت سعة كل محطة عددا من الماشية يتراوح فيما بين ٤٠ ، ٥٠ رأسا (٣٥) .

هذا عن الاجراءات التى اتخذها محمد على ، بشأن جاب أكبر عدد ممكن من الماشية السودانية ، والتي كان لها أكبر الأثر في تعويض مصر عما فقدته من ثروتها الحيوانية ، فمن قراءة بعض الوثائق يمكن معرفة عدد المواشى التى جلبها محمد على من السودان طوال مدة حكمه فتشير الوثيقة الاولى الى أن المعدل اليومى لعدد الماشية التى كانت ترد من السودان الى مصر عبر جمرک اسوان ، كان يتراوح فيما بين ١٦٠ ، ٢٠٠ رأسا من الماشية التى جلبها من السودان الى مصر في خلال شهر واحد هي ٥٤٠٠ رأسا ، وتصبح الجملة السنوية ٦٤٨٠٠ ألف ( أربعة وستون ألفا وثمانمائة رأس من الماشية ) وتشير الوثيقة الثانية الى عدد الماشية التى جلبت الى مصر خلال عام واحد يبتدىء من ٤ رمضان عام ١٢٦٠ هـ - الموافق ١٨٤٤م وحتى ١٠ من شهر شوال عام ١٢٦١ الموافق سنة ١٨٤٥ ، فقد بلغ عددها ٤٢٨٢٤ رأسا (٣٦) وتشير الوثيقة الثالثة الى عدد الماشية التى جلبت الى مصر في خلال شهر يبتدىء من ٥ ذى القعدة سنة ١٢٦٢ الموافق ١٨٤٥م وحتى ٧ الحجة من نفس العام والتي بلغ عددها نحو ٧٢٣٠ رأسا من الماشية (٣٧) وبضرب هذا الرقم في عدد شهور السنة ، تصبح جملة الماشية التى جلبت في سنة حوالى ٨٦٧٦٠ رأسا من الماشية ، وبالنظر نظرة سريعة على هذه الأرقام يتضح أن جملة المواشى التى جلبها محمد على ليست قليلة في عددها ، اذا تورنت بالوسائل التى استخدمت في جلبها فقد بلغ عددها في طوال مدة حكمه نحو ٢٦٠٠٠٠ رأس تقريبا .

- 
- (٣٤) محفظة ١٠٧ بحريرا ، وثيقة ٦٦ في ١٥ شعبان سنة ١٢٦١ هـ الموافق سنة ١٨٤٥ م .
- (٣٥) دفتر ٣٧٨ معية تركى ، وثيقة ٣٦٩ ، في ٢١ صفر سنة ١٢٦١ هـ الموافق سنة ١٨٤٥ م .
- (٣٦) دفتر ٣٩٣ - صادر المعية ، وثيقة بدون رقم في ٢٨ ذى الحجة سنة ١٢٦٠ هـ الموافق سنة ١٨٤٥ م .
- (٣٧) محفظة ٩ بحريرا ، وثيقة ٨٧ في ١٥ ربيع ثان سنة ١٢٦٣ هـ الموافق سنة ١٨٤٦ م .

لم يقتصر محمد على ، على جلب الأبقار السودانية فقط ولكنه جلب أيضا أعدادا كبيرة من الجمال لاستخدامها في نقل المحاصيل الزراعية ، ونقل امتعة جنود الجهادية، وقد بلغ عدد الجمال التي تم جلبها من السودان طوال مدة حكمه حوالي ٢١٧٥٧ جملا ، بالإضافة الى جلبه عددا من الخيول بلغ حوالي ٣٦٦ رأسا ، وعددا آخر من الجاموس البرى بلغ نحو ٣٧٦ رأسا (٢٨) .

من الملاحظ أن جلب محمد على للابل والجاموس والخيول لم يكن بالقدر الذي جلب به الأبقار ، وربما يرجع ذلك الى أن الأبقار كانت ولاتزال أكثر نفعا للفلاح المصرى عن غيرها من الحيوانات الأخرى ، وخاصة في الأعمال الزراعية ، بالإضافة الى أن الفلاحين كانوا يحصلون من الأبقار على الألبان ومشتقاتها المختلفة ، زيادة على ذلك فانهم كانوا يفضلون لحومها عن بقية اللحوم الأخرى، ويمكن تعليل جلب محمد على أعدادا كبيرة من الابل والجاموس راجع الى أن هذه الأنواع لم توجد بوفرة في السودان ، وهذا احتمال ربما يكون على جانب كبير من الصحة لأنه لو فرض ووجدت هذه الحيوانات بوفرة ، لما تركها محمد على دون استغلال، كاستغلاله للأبقار مثلا، وربما يكون السبب أيضا في عدم جلبه لهذه الحيوانات ، هو أنه ليس في حاجة إليها ، وهذا جائز لأن السودان معروف بوفرة ثروته الحيوانية .

وعلى أية حال فان الجهود الذي قام به محمد على في مجال جلب الأبقار، وغيرها من الحيوانات الأخرى ، مجهود يستحق التقدير ، لأنه أدى بالتالى الى وجود تكامل اقتصادى بين القطرين الشقيقين ، وساعد على تنمية الثروة الحيوانية في مصر .

## ٢ - الجلود :

الى جانب جلب محمد على للحيوانات المختلفة ، قام أيضا بجلب كميات من الجلود ، فقد أصدر تعليماته الى حاكم السودان ، بأن يقوم بشراء جلود الأبقار السنارية ، واعطائها الى السبعة اشخاص المصريين ، الذين

---

(٢٨) انظر محافظة أبحاث السودان ، في الفترة ما بين ١٢٣٥ ، ١٢٦٦ هـ

ذهبوا الى السودان للعمل في دبيع الجلود ، بدلا من تركها تتلف وتتفنن (٣٩) بالإضافة الى ذلك فانه يطلب من كل من مدير دنقلة وكردفان أن يرسل كميات الجلود الموجودة في مديرياتهم، ولكنهما انادا بأن كميات هذه الجلود ضئيلة جدا ، فطلب منهما أن يوافياه بكشف يتضمن عدد جلود الأبقار التي ذبحت في خلال عام . ويبدو أن السبب في طلب محمد على الجلود من سنار ودنقلة وكردفان، يرجع الى أن هذه البلاد كانت غنية بثروتها الحيوانية أو ربما لأن هذه البلدان كانت من المراكز التجارية الهامة في السودان .

ومن الملاحظ أن استغلال محمد على لجلود الماشية السودانية كان ضئيلا ، لأنه فضل فيما يبدو أن يجلب الماشية الحية بدلا من الجلود حيث يمكن له أن يحصل منها على الجلود واللحوم معا ، ولعل الثروة الحيوانية في مصر كانت قد زادت ، وزاد معها بالتالي إنتاجها من الجلود .

### ٣ - الصوف :

الصوف من المنتجات الحيوانية الهامة ، وخاصة إذا كان من الأنواع الجيدة ، مثل أصواف المارينو ، لذلك نجد أن محمدا عليا لم يفغل استغلال الصوف السوداني ، ففي عام ١٨٣٥ م طلب من حكمدار السودان ، أن يقوم بشراء الصوف من المواطنين السودانيين ويرسله الى مصر (٤٠) وبالفعل قام حكمدار السودان بإرسال كميات كبيرة من هذا الصوف الى مصر ، ولما أجريت عليه بعض التجارب لمعرفة مدى صلاحيته في مجال صناعة الملابس اتضح أنه لا يصلح في صناعة الجوخ ، لذلك تقرر أن تصنع منه الجبئات والأحزمة ، ولكنها لم تكن جيدة بسبب خشونته فاضطر محمد على الى أن يخلطه بالصوف المصري لكي يصنع منه الأجولة (٤١) ، ولما عرض منه كمية للبيع في الاسكندرية

- 
- (٣٩) دفتر ٧٤٢ ديوان خديو ، وثيقة ، ١٨٥ ، في ٢٧ ربيع أول سنة ١٢٤٣ هـ الموافق سنة ١٨٢٧ م .
- (٤٠) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٦٠ صادر معية تركى ، وثيقة ٣٨٦ في ٣ ربيع أول ١٥٢١ هـ الموافق سنة ١٨٣٥ م .
- (٤١) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٨١ معية تركى ، وثيقة ٣٦٦ في ٢٣ محرم سنة ١٢٥٣ الموافق ١٨٢٧ م .

عام ١٨٤٣ ، وكانت تقدر بنحو ٢٢٦٢ قنطارا ، رفض التجار شراءها (٤٢) :  
فمن المرجح أن يكون السبب في رفض شرائها راجع الى رداءة هذا الصوف .

#### ٤ - العلاج :

لم يترك محمد على العلاج دون استغلال ، ففي عام ١٨٤٤ أرسل اليه  
حكمدار السودان ٢٦ قطعة من أسنان فرس النهر ، وذلك ليصنع منها  
أسنان لولى النعم ، وكانت هذه القطع قد أرسلت في داخل صناديق من  
الصاج ، وغطيت بالرمل المبلل بالماء حتى لا تتشقق بسبب حرارة الشمس (٤٣)  
وفي عام ١٨٤٨م وصلت كمية أخرى من أسنان فرس النهر ، بلغت كميتها نحو  
١١٦٠ درهما (٤٤) ويبدو أن ذلك كان لنفس الغرض السابق ، وفي العام  
السابق كان حكمدار السودان قد أرسل كمية أخرى من العلاج بلغت حوالى  
١٠٠ قطعة (٤٥) .

من الملاحظ أن محمدا عليا لم يجلب من العلاج وأسنان فرس النهر ،  
كميات تستحق الذكر ، لعل ذلك يرجع الى عدم رغبته في استغلال هذه  
الأصناف ، أو لانه فضل أن يحصل على أشياء أخرى ، كانت أكثر رواجاً  
ومنفعة بالنسبة له ، وربما يرجع عدم استغلاله للعلاج الى أن المناطق الفنية  
بهذا الصنف ، لم تكن قد خضعت بعد لحكمه ، ومن المرجح أيضا أن العلاج  
كان قليلا في الأماكن التي خضعت لنفوذ محمد على في ذلك الوقت .

---

(٤٢) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٣٦٩ معية تركى ، وثيقة ،  
٤٠٢٢ في ١٦ رجب سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

(٤٣) محفظة ١٩ بحريرا ، وثيقة ٤٧ في ٧ رجب سنة ١٢٦٠ هـ  
الموافق ١٨٤٤ م .

(٤٤) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٤٥٨ صادر معية ، وثيقة ٤٢١  
في ١٠ شوال سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ١٨٤٨ م .

(٤٥) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٢٩٠ - ديوان كتحدا ، وثيقة  
١٥٨٦ في ٢٧ ربيع ثان سنة ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٧ م .

obeikandi.com

## الفصل الثالث

### المعادن

عرف الإنسان المعادن المختلفة ، منذ فجر التاريخ وزاد اهتمامه بها عندما تمكن من استغلالها في صناعة أدواته المختلفة التي مكنته بالتالى من التغلب على كل العقبات الطبيعية التي صادفته وتعتبر المعادن بحق من أهم عناصر التقدم والمدنية في عالمنا المعاصر ، ولاهيتها هذه ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى : « وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس » .

ولما أدرك محمد على هذه الأهمية حاول من جانبه احضار المعادن من السودان ، وركز جهده بصفة خاصة على معدن الحديد والذهب ، فالأول من هذين المعدنين سيصنع منه احتياجات جيشه من أسلحة وعتاد ، والثانى منها سيزيد به حصيلة خزائنه .

### ١ - الحديد :

وبمجرد أن وصلت حملاته الى السودان طلب من البك الدفتردار أن يقوم بالتنقيب والبحث عن معدن الحديد والمعادن الأخرى في جبال كردفان ويتضح ذلك من خطابه الذى أرسله اليه والذي جاء فيه ما نصه :

« أرسل البك بشأن استنباط ما هو لازم من منافعها ( كردفان ) والعلم بما ينفع من حاصلاتها ، ومعرفة كل ما هو خفى وجلى من مناجمها (١) » .

لم ينتظر محمد على ، رد البك الدفتردار على خطابه السابق ، بل

---

(١) ملخصات المعية السنوية ، وثيقة ٢٢ في ٣ صفر سنة ١٢٢٧ هـ

الموافق ١٨٢١ م .

بدأ في اعداد الفنين ، والأسطوات اللازمين لصناعة الحديد ، نهيدا  
لارسالهم الى كردفان ، بالإضافة الى أنه طلب منه أن يبذل تصارى  
جهده من أجل الحصول على معدن الحديد ، ويتضح ذلك من خطابه التالى  
والذى جاء فيه ما نصه :

« بناء على ما تحتفناه على وجه الصحة والوثوق من ان مناجم الحديد  
موجودة بوفرة وجسامة في كردفان ، وان النوع الجيد جدا من هذا الحديد  
يستخرج من هناك ، فأنا الآن مشغول باعداد الأسطوات ومتخصصى العمال  
وحاذاقتهم وماهرتهم من الذين يذبيونه بحيث يجعلونه على صورة مواسير ،  
وان العزم المقصود على ، هو أن أرسل مع المعدين من هؤلاء الأسطوات ،  
أسطوات آخرين من أجل مسألة الكلس ( الجير ) وينائى المصاهر ، فنحن  
نعمل على امر ارسالهم ، فاعز مطلوبنا أن تبذلوا بعد اطلاعكم انتم على هذا  
الشأن ، بما تقتضيه غيرتكم من أن تتحققوا من الآن ، وتثبوتوا من المحال  
أتى يوجد فيها جوهر المعدن المذكور قويا وبمقادير وافية مباركة ، وان  
تبادروا وتهينوا الأسباب التى تستوجبها سهولة استخراجها وصوغه ، وبذلك  
تشمرون عن ساق الجد والحمية لسنمه، وعند وصول الأسطوات المذكورين  
اليكم ، عليكم الا تدخروا وسما في معرفة المحال التى يؤمل وجود سائر  
المعادن الأخرى فيها ، وذلك بالبحث والتحرى عنها وأستكشافها ، بحيث  
لا تكون هذه المسائل والوسائل باعثا على اضاءة الوقت ، دون الإيفاء بمهمة  
تحقيق هذا الهدف » . (٢)

فواضح من هذين الخطابين مدى اهتمام محمد على بالحصول على معدن  
الحديد الذى كان في حاجة ماسة اليه ، وبصفة خاصة في صناعته العسكرية،  
وقد تقرر ان يصنع في مناطق استخراجها ، تجنباً لتكاليف نقله الى مصر ،  
بالإضافة الى أنه كان لا يريد أن يعلم السلطان العثمانى بمشروعاته الحربية.

ومن أجل ذلك واصل البك الدفتردار العمل في التنقيب عن الحديد في  
جبال كردفان في الفترة ما بين ١٨٢٠ ، ١٨٢٤ م . وبعدها توقفت عملياته

---

(٢) محافظ أبحاث السودان - دفتر ١٠ معية تركى ، وثيقة ٢٤ في  
٣ صفر سنة ١٢٣٧ هـ الموافق سنة ١٨٢١ م .

التعدين في هذه الجبال ، وذلك لعدة أسباب ، منها عدم حصول محمد على ، على أية كميات من الحديد تستحق الذكر ومنها أنشغاله بمسألة احضار العبيد الى مصر ، وهذا احتمال على جانب من الصحة ويؤكد ذلك انه ارسل في عام ١٨٤٦ م بعثة جيولوجية اخرى الى كردفان (٣) لمواصلة عمليات التنقيب عن الحديد في جبالها من جديد ولكن على الرغم من كل هذه الاعمال فانها لم تعثر الا على كميات ضئيلة ، كانت قد ارسلت الى ديوان المدارس لاجراء التجارب عليها لمعرفة نوعيتها ، ومدى صلاحيتها في الصناعة ، وكانت هذه البعثة قد قامت ايضا بالتنقيب عن الحديد والجرم في منطقة النيل الابيض ، ولكنها لم تعثر على أى شيء يذكر من المعادن (٤) ثم نقيبت بعد ذلك عن النحاس والتصدير في موطن قبائل الشلك ، ولكن جهودها باءت بالفشل (٥) ويبدو أن جهود محمد على الخاصة بجلب الحديد من كردفان لم تأت بالنتيجة المرجوة بل باءت بالفشل ، وربما يرجع ذلك الى خلو هذه الجبال من معدن الحديد ومن المعادن الأخرى .

## ٢ - الذهب :

لم تقتصر جهود محمد على ، على البحث عن الحديد في جبال كردفان وغيرها من المناطق الأخرى فحسب ، بل شملت أيضا البحث والتنقيب عن معدن الذهب في مناطق سنار ونازوغل وكردفان ، ويتضح ذلك من قراءة خطابه الذي أرسله الى ألبك الدفتردار والذي جاء فيه ما نصه :

« أشعرتهمونا من أن هناك جبلا يبعد عن كردفان مسيرة خمسة أيام يخرج منه معدن الذهب ، فأمرنا بكشف هذا الجبل وبحثه لتفهيموا ، ما اذا كان هذا الذهب ينتج من باطن الجبل نفسه ، أو يكون متخلفا عن مياه

- 
- (٣) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٤٣١ معية تركى ص ٦١ ، وثيقة ٣٨٧ في ٩ ذى الحجة سنة ١٢٦٣ هـ الموافق ١٨٤٦ م .  
(٤) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٥٩٠ ديوان الكتخدا ، وثيقة ٢٠٣١ في ٣ ربيع الثانى سنة ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٧ م .  
(٥) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٦٠١ وارد ديوان الكتخدا ، وثيقة ١١١ في ٩ ذى القعدة سنة ١٢٦٥ هـ الموافق ١٨٤٨ م .

الابطار ، التى تتحدر من الجبال التى وراء هذا الجبل ، كيفما يحدث للذهب ، الذى يأتى مع مياه السيول ويتجمع فى الأماكن المنخفضة ، ولا يتأثر ، فاذا ظهر انه من باطن الجبل فيطلب أن تنظروا فى شأنه وتبتوا فى امره بحسن تدبيركم وأن تخبرونا بالكيفية » (٦)

لم يكن البك الدفتردار هو المكلف وحده ، بالبحث والتنقيب عن معدن الذهب فى جبال كردفان ، بل كان هناك اسماعيل بن محمد على ، الذى كان يقوم بدوره بالتنقيب والبحث عن الذهب فى سنار وفازوغلى ، ولكن يبدو أن هذه العمليات لم تسفر عن نتائج تستحق الذكر على الرغم من انها استمرت فترة طويلة من الزمن ، تبندء من عام ١٨٢٠ وحتى عام ١٨٢٨ م مما دفع محمد على عام ١٨٢٩ م ، الى أن يقوم بتدعيم عدد الافراد المخصصين للتنقيب عن معدن الذهب ، بعدد آخر من العمال والخبراء المصريين والأحانب وهم على النحو التالى : ( ٨ مهندسين من أبناء العرب — ٢ مهندس أورسى ، ٢٠ نجارا ، ٢٠ حدادا ، ٢٠ عاملا بناءا ، وجميعهم كانوا من أبناء العرب - ١٥ عاملا نحسا ، ٢٠ ضاريا الغاما ، ٢ صانعى براميل ، ٢ مبيض نحاس ، ٢٠ نشارا ) .

لكن يبدو أن هذا الاجراء من محمد على لم يأت بالنتيجة المطلوبة ، فطلب من حاكم السودان أن يقوم بشراء العملة الذهبية ، وكذلك الذهب الخام من الوطنيين السودانيين ، ويرسله الى مصر ، وعلى هذا الأساس اصدر حاكم السودان أمرا الى الجمارك بأن تمنع تصدير الذهب الخام من بلاد السودان الى الخارج ، وكان ديوان المالية ، فى مصر قد أرسل له ١٠٠٠ كيسة من النقود ، لكى يستخدمها فى شراء ما يمكن شراؤه من الذهب (٧) ، وبالفعل تمكن الحكمدار من شراء ١٠٠٠ أوقية من الذهب السنارى (٨) .

- 
- (٦) محافظ أبحاث السودان — دفتر ١٠ معية تركى ، وثيقة ٤٨ فى ١٥ ربيع أول سنة ١٢٣٧ هـ الموافق ١٨٢١ م .  
(٧) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٨٩٨ معية تركى ، وثيقة ٢٦ فى ٤ جماد أول سنة ١٢٥٠ هـ الموافق ١٨٣٤ م .  
(٨) محفظة ٢٦٢ عابدين ، وثيقة بدون رقم فى ٥ ربيع ثان سنة ١٢٥٣ هـ الموافق ١٨٣٧ م .

لم يكتب محمد على بهذه الكمية من الذهب التي تسلمها من حاكم السودان بل طلب منه أن يقوم بشراء المزيد من الذهب ، ويرسله الى مصر ، ويتضح ذلك جليا من خطابه الذي جاء فيه ما نصه :

« اجمع ما يمكن جمعه من النقود الذهبية والذهب الخام وأرسله الى مصر في غاية السرعة » . (٩) .

ويبدو أن عمليات الشراء هذه لم تف باحتياجات محمد على من الذهب ، فحاول أن يزيد من فاعلية عمليات التنقيب عن الذهب في جبال غازوغلى ووصل الامر الى أن جعل العمال والمهندسين يقيمون بصفة مستمرة في المدينة التي شيدها لهم والتي عرفت باسم ( مدينة محمد على ) ( ١٠ ) .

(٩) محافظ أبحاث السودان — دفتر ١٨٩ معاونة أقاليم ، وثيقة ٣٥٤ في ٢٢ شعبان سنة ١٢٥٧ هـ الموافق ١٨٤١ م .

(١٠) تضمنت مدينة محمد على قصر الحاكم ، الذي بنى بالطوب الأحمر ، والمستشفى الذي خصص لعلاج المرضى من العمال ، ومخزن انبجخانه ، والشوتتين اللتين خصصنا لحفظ الغلال ، والزرية التي خصصت لماشية المرى ، والتي بنيت من القش والحطب ذى الأشواك وكانت قد زودت بثلاثة أبواب ، كان احداها في جهة الشرق ، والثاني في جهة الغرب ، والثالث في جهة الشمال ، وقد زود كل باب بمخفر ، وتضمنت الديوان الذي بنى على الشاطئ الغربى للنيل الأزرق ، وقد خصص لجلوس معاونين والمهندسين والمعدنية . والورشة التي خصصت لصناعة القواديس التي كانت تستخدم في نقل المياه من النهر الى السكان . وعربات اليد التي خصصت لنقل الرمال التي كان من المحتمل أن يوجد فيها معدن الذهب ، بالإضافة الى ذلك فان هذه الورشة قامت بنشر الأخشاب اللازمة للمباني ، والمخازن التي بنيت من الأحجار ، والتي خصصت لحفظ المهبات والادوات الواردة من مصر ، حتى لا تتعرض للأمطار ، أو لحرارة الشمس ، والمعديتين والصنديل الذين خصصوا لتعدية العمال من شاطئ الى آخر ( عبور النيل الأزرق ) ، والبئرين اللتين حفرتا لتزويد المدينة بما يلزمها من المياه الصالحة للشرب ، وكان عمق احداها خمسة امتار وعمق الآخر ٢٥ متر ، زيادة على ذلك فان هذه المدينة

بلغ عدد العمال الفنيين الذين كانوا يتطازرون ،دبنة محمد على ، والذين كانوا يعملون في مختلف الأعمال نحو ٣٧٦ شخصا ، كان منهم ٢٢٤ شخصا من المصريين والباقيون كانوا من السودانيين ، وكان هؤلاء العمال جميعا يتناضون أجورا ضئيلة الى حد ما ، وأذكر على سبيل المثال انه كان يوجد هناك ٦ ستة من هؤلاء العمال ، الذين كانوا يعملون في مهنة السمكرة والتبييض ، وكانوا جميعا يتناضون أجرة يومية قدرها ٣٠ قرشا ، أى بمعدل خمسة قروش للفرد الواحد في اليوم .

كان محمد على يتابع بصفة مستمرة سير العمل في مناجم فازوغلى ، وذلك بواسطة المندوبين الذين كان يرسلهم من وقت الى آخر (١١١) وكان من هؤلاء المندوبين على سبيل المثال الصاغقول أغاسى ابراهيم أفندى الذى زار مواقع التنقيب في فازوغلى وأحضر معه بعض العينات من الذهب الخام

---

= زودت بكمية من المؤن تضمنت ٢٨ أردبا من القمح ، ٣ أرباب شمير ، ٨٦٣ أقة ، ٣٠٨ درهما من الأرز ، ٤١١١ أقة ، ٣٠ درهما من الملح ، ١١ قنطارا ، ٤٣ رطلا من المسلى ، ١٥ قنطارا ، ٤٨ رطلا من الدقيق ، ٦٤ قنطارا ، ٤٣ رطلا من البتسماط ، ٢٠ أقة ، ١٣٦ درهما من الشمع ، ٢٧ زجاجة ماء كولونيا ، ٦٢٢٤ ثوب من القماش الديمور ، ١٨٢٩ ثوب من البغنة الهرى ، وقد تلاحظ أن بعض هذه الأصناف كانت تتمثل في الشمع والكولونيا والملح والأرز ، وكان الشمع والكولونيا يصرنان للمرضى الموجودين بالمستشفى ، وأما باقى المؤن فكانت تصرف كتعميم للأفراد ، وما يتبقى منها كان يباع للأهالى والنجار ، وكان من هذه المؤن المتوفرة حبوب الذرة ، التى كانت تتلف اذا تركت في المخازن مدة طويلة ، وقد بلغ جملة المخزون من حبوب الذرة حوالى ١٥١٥٩ أردبا ، صرف من هذه الكمية على اصحاب التميمينات حوالى ٣١٥٩ أردبا في مدة ستة شهور وظل الباقي بالمخازن ، انظر المحفظة ٢٦٨ عابدين ، وثيقة رقم ٢٢ في عام ١٨٣٩ م .

(١١) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٨٠ شورى المعاونة ، وثيقة

٤٣٧ في ٩ جاد اول سنة ١٢٥٧ هـ الموافق ١٨٤١ م .

ليقدمها لمحمد على ، وكان من المتبع أنه كلما عثر العمال على بعض كميات من الذهب الخام ، بادر حاكم السودان بإرسالها إلى مصر ، ففي عام ١٨٤١ تم إرسال كمية من الذهب بلغ وزنها ٦١٤ { أوقية (١٢) } .

لم يكتف محمد على بالمناجعة التي كان يقوم بها بعض المندوبين بل كلف أيضا حاكم السودان بأن يقوم بنفسه بمناجعة سير العمل في مناجم الذهب ، ويتضح ذلك من خطابه إلى الحكمدار والذي جاء فيه ما يلي : « إذا وصلتم باذن الله تعالى إلى ذلك المحل ( المنجم ) وأخذتم بالحفر فيه فلا تأخذوا التراب الذي هو بأعلى الحفر ، بل اعملوا بما هو معتاد عند الأهالي من القديم ، وما هو من أصولهم من حفر الحفر العميقة ، وأخذ التراب الذي يخرج منها والتدقيق به كما يلزم . فانه إذا نقبتم عن الأحجار التي تظهر وغسلتم ذلك التراب الذي يلزم غسله فإنه من المؤكد أن تجدوا عرق ذلك المعدن ( الذهب ) وبناء على ما أوضحناه لكم احفروا الحفائر العميقة ، ودققوا في الأحجار التي ستخرج منها . واغسلوا التراب الذي يلزم غسله ، وأى شيء يرونه في نهاية الأمر عرفونا عنه بالتوضيح وهذا ما لزم أشعاركم به » (١٣)

وعلى الرغم من كل هذه الجهود الشاقة التي قام بها الأشخاص المكلفون بالبحث والتنقيب عن معدن الذهب ، فانها ضاعت سدى ، والدليل على ذلك التجربة التي أجريت بفرض التنقيب عن الذهب في جبل الرول التي استغرق العمل فيها ، ثلاثة أيام ابتداء من يوم الأحد ١٥ ذى القعدة سنة ١٢٦١ هـ وحتى يوم الثلاثاء ١٧ من نفس الشهر ، وشملت عمليات التنقيب جميع جهات الجبل ، ففي اليوم الأول بدأ العمل في الجهة الشرقية من هذا الجبل ، ابتداء من قمته وحتى أسفله وتم الحصول على كمية من الرمل الذي كان من المعتاد أن يوجد بها معدن الذهب الخام ، ولكن بعد غسلها حصلوا منها على حبتين فقط من الذهب الخام ، وفي اليوم الثاني تم

---

(١٢) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٢٨٤ معاونة ملكية ، وثيقة ٢٠٦٤ في ١٦ شوال سنة ١٢٥٧ الموافق سنة ١٨٤١ م .

(١٣) محافظ أبحاث السودان - دفتر ٣٧٦ صادر ديوان المعية ، وثيقة ٢٨٦١ في ١٦ جماد ثان سنة ١٢٦٠ الموافق ١٨٤٤ م .

فحص الجهة الغربية من الجبل وقد تم الحصول أيضا على حبتين من اذهب، وفي اليوم الثالث تم فحص الجبل من الجهة البحرية والقبلية وتم الحصول منها على قمحة واحدة من الذهب ، وقد بلغ ، مقدار الكمية التي تم الحصول عليها من الذهب الخام اربع حبات وقمحة واحدة ، وبلغ عدد الجنود الذين قاموا بعمليات التنقيب نحو ٢٦٨٨ جنديا من جنود الجهادية . (١٤)

لم تكن هذه الكمية الضئيلة من الذهب الخام من عزم محمد علي ، بل واصل محاولاته الخاصة بالتنقيب عن معدن الذهب في فازوغلى ، فكان قد ارسل من طرفه في عام ١٨٤٥ م خسرو باشا أحد كبار المسؤولين في الدولة ، وذلك لاستطلاع احوال عمليات التعدين ، وهناك قابل أحد شيوخ القبائل القاطنة بجهة جبل الرول ، الذي كان يدعى الشيخ ادريس وتدارس معه خسرو باشا امكانية الحصول على كميات كبيرة من الذهب من كل من جبل الرول والتماميل والقسان وفازوغلى ، وبعد المناقشة التي تمت بينهما ، رأى خسرو باشا أن عمليات التعدين هذه ، تحتاج الى عدد كبير من عساكر الجهادية ، كما رأى أيضا ان يساهم شيوخ منطقة فازوغلى في ارسال عدد من الأفراد الذين سوف يقومون بالمساهمة في التنقيب الى جانب الجنود ، وبعد المداولة مع هؤلاء الشيوخ تقرر اعداد القوات التالية :

- ٤٠٠ من عساكر الجهادية .
- ١٥٠٠ من عساكر السمر سواري والهنأدى والشايقية .
- ١٠٠٠ من ابناء القبائل على شرط ان يكون أغلبهم من الهجانة
- ١٠٠٠ هجان من قبل الشيخ ادريس التابع لمديرية فازوغلى .
- ٢٠٠ هجان من قبل الشيخ مرسى التابع أيضا لمديرية فازوغلى .
- ٢٠٠ جندي من قبل الشيخ عزوز التابع لمديرية فازوغلى .
- ٤٠٠ هجان من قبل الشيخ حسن ولد العجيب من مديرية سنار .
- ١٧٥ هجان من قبل كل من عبد القادر ومحمد آغا التابعين لسنار .

(١٤) محفظة ١٩ بحر برا ، وثيقة ١٧٧ القعدة سنة ١٢٦١ الموافق

١٨٤٥ م .

وقد بلغت جملة هؤلاء الأمراد حوالي ٨٥٧٥ شخصا ، وكان الشيخ ادريس قد اقترح أن يكون عدد الجنود الذين سوف يعملون في مناجم الذهب بقدر عدد العبيد الذين يقطنون جهات التمدين ، يبدو من هذا أن العبيد الوطنيين كانوا يقومون بمهاجمة العمال أثناء تأديتهم لعملهم ، مما دفع الشيخ ادريس أن يطلب زيادة عدد الجنود ، زيادة على ذلك فإنه تقرر أن تزود هذه القوات بما يلزمها من مؤن وخلافه على شرط أن يتم جمعها قبل حلول موسم الخريف (١٥) .

وبعد بدء العمل ، لم يعثر العمال على كميات من الذهب تستحق الذكر ، ويتضح ذلك من اجراء هذه التجربة الثانية والتي تمت في منطقة التعمدين في المدة المبتدئة من غرة ربيع ثان سنة ١٢٦١ هـ وحتى ٨ من ذي القعدة من نفس العام وهي على النحو التالي :

كمية الذهب المستخرجة	المدة	
	الى	من
١٣ ٢/٣ حبة	٤ جماد اول ١٢٦١ - ١٨٤٥	٥ ربيع ثان ١٢٦١ - ١٨٤٥
١٦ ٢/٣ حبة	٥ جماد ثان	٦ جماد اول
١ قيراط، ٢ ٢/٣ حبة	٥ رجب	٦ جماد ثان
حبة ١ قيراط ، ١٥	٩ شعبان	٦ رجب
حبة ٢ قيراط ، ١٦	١٥ رمضان	١٦ شعبان
حبة ٢ قيراط ، ١٥ ٢/٣	٣٠ رمضان	١٦ رمضان
حبة ٣ قيراط ١٨ ٢/٣	٣٠ شوال	١ شوال
حبة ١ قيراط ١٢ ٢/٣	٣٠ القعدة	١ ذي القعدة

(١٥) محفظة ١٩ بحر برا - وثيقة ٧٤ في ٩ صفر سنة ١٢٦٢ هـ  
الموافق ١٨٤٥ م .

وقد اشرف على هذه العملية كل من مدير سنار وفازوغلى ومفتش المعادن ، وبلغ عدد الأفراد الذين اشتركوا في اجرائها حوالي ١٨٠٦٢ شخصا ، كما بلغ عدد الايام التى استغرقتها هذه التجربة ١٣٠ يوما ، ما عدا ايام الجمع والايام التى كان ينزل فيها المطر ، وقد بلغت كمية الذهب الخام التى تم العثور عليها اوتية واحدة ، ١٣ ١/٢ حبة (١٦) .

لم ترض هذه الكمية من الذهب خاطر محمد على ، فاضطر الى ان يطلب من مدير سنار وفازوغلى ، ان يفرضا شيئا من الذهب على كل بيت من بيوت سكان جبل الرول ، كنوع من الأتاوة فيما يبدو ، ولكن مدير سنار رفض هذا المطلب ، وانهم محمدا عليا ، بأن هذا الاجراء ، لو تم سيجعل السكان الوطنيين لايميلون الى الحكم المصرى بل سوف ينضمون بالتالى الى القبائل المنشقة على الحكومة المصرية ، وبذلك يزداد خطرهم ، وكان هؤلاء المنشقون يمثلون هبائل مغزوعة ، وأقلون وأندون والسنجليات والخمسة ، والخواريو والاموله ، والغناجقة ، والغناسمون والخزماقو والجرك . (١٧) .

عدل محمد على عن مطلبه بعد ان اقتنع برأى مدير سنار ، ولكنه من ناحية اخرى واصل ، عمليات الحث والتنقيب املا في الحصول على الكميات المطلوبة من الذهب الخام ، وفي هذا الصدد عين ناظرا يعرف باسم ناظر المعادن (١٨) وذلك ليقوم بالاشراف على عمليات التعدين ، ويمكن تحليل تعيين هذا الناظر ، بأن المشرفين السابقين على عمليات التعدين ، كانوا قد فشلوا في تأدية مهمتهم وكان محمد على قد زوده بعدد من عربات آليد ، التى كانت تستخدم في نقل الرمال التى يحتمل وجود معدن الذهب فيها (١٩) وفي نفس

---

(١٦) محفظة ١٩ بحرا برا وثيقة ٧٠ في ١٨ ذى الحجة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .

(١٧) محفظة ١٩ بحرا برا ، وثيقة ٦٨ في ٢٣ القعدة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .

(١٨) دفتر ٥٨٧ صادر ديوان الكتخدا ، وثيقة ٦٢١ في ١٣ رمضان سنة ١٢٦٣ هـ الموافق ١٨٤٦ م .

(١٩) دفتر ٥٩٠ الكتخدا ، وثيقة ١٤٩٧ في ٨ صفر سنة ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٧ م .

الوقت طلب محمد على من ناظر المعادن ، بذل تصارى جهده فى سبيل الحصول على أكبر كمية ممكنة من الذهب ، ويتضح ذلك من خطابه الى ناظر المعادن الذى جاء به :

« أرنى جهدك واجتهادك، واهتم كل الاهتمام بالحصول على المنفعة على الوجه المبين فى كتابنا (٢٠) » .

أصبح من الواضح لدينا أن جميع الجهود التى بذلها محمد على فى سبيل الحصول على معدن الذهب الخام باءت بالفشل ، ولم يحقق هذا الهدف ، رغم كل ما بذله من مجهودات فى هذا المجال ، ويمكن التدليل على ذلك بالجدول انتالى الذى يوضح لنا كميات الذهب التى تم الحصول عليها ، فى خلال عدد قليل من السنوات :

السنف	الكمية	السنة
ذهب	أوقية ١٣٣٢	١٢٥٠ هـ — ١٨٣٤ م
ذهب	أوقية ١٠٠٠	١٢٥٣ هـ — ١٨٣٧
ذهب	أوقية ١١٤	١٢٥٥ هـ — ١٨٣٩
ذهب	أوقية ٤٦١٤	١٢٥٧ هـ — ١٨٤١
ذهب	١ واحد أوقية + ١٨ ١/٤ قمحة	١٢٦١ هـ — ١٨٤٥
ذهب	أوقية + ١٠ حبه ٥٨	١٢٦٣ هـ — ١٨٤٧
ذهب	١٠ اق + ١٥ أوقية + ١٢ ١/٤ حبه + ١٨ حجر كريم	١٢٦٤ هـ — ١٨٤٨
ذهب (٢١)	٢٠٠٠ درهم	١٢٦٦ هـ — ١٨٥٠

(٢٠) دفتر ٤٣٢ صادر معية ، وثيقة ٥٠٤ فى ٤ صفر سنة ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٧ م .

(٢١) أنظر محافظ أبحاث السودان — فيما بين سنتى ١٢٣٥ هـ الى عام ١٢٦٦ هـ .

obeikandi.com

## الفصل الرابع

### الزراعة والغلات الزراعية

نظرا لتباين مناخ السودان ، فقد تعددت غلاته الزراعية ، فمنها ما هو برى ، كالصمغ والسنامكى والأبنوس والنيلة ، ومنها ما هو زراعى ، كالذرة العويجة والدخن والحمص واللوبياء والفاصوليا والقمح . وكان لوفرة هذه الغلات الزراعية أثرها الفعال في نفس محمد على الذى اتبع سياسة الاحتكار التى تمثلت في اشراف الحكومة على التجارة الداخلية والخارجية ، فكان للحكومة وحدها الحق في بيع الحاصلات الزراعية للمستهلك المحلى أو للتجار لتصديرها للخارج (١) ويبدو أن السبب في احتكار محمد على للغلات الزراعية راجع الى عدة عوامل ، منها شروعه في بناء صرح قاعدة صناعية حديثة ، ومنها أيضا شروعه في بناء جيش حديث ، وسوف يتضح ذلك من دراستنا للزراعة السودانية والغلات الزراعية .

#### أولا - الزراعة :

اهتم محمد على بالزراعة السودانية ، وذلك بارساله ٣١٠ شخصا من كبار وصفار المشايخ والخوله لكى يقوموا بالاشراف على الأعمال الزراعية في السودان ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكى يقوموا بتعليم ابنائه حرفة الزراعة على أسس علمية سليمة (٢) وكان هؤلاء جميعا من مديريات الوجه البحرى كالعربية والدقهلية والقليوبية والبحيرة (٣) ومن المرجح ان يكون

(١) د . أحمد أحمد الحته : المصدر السابق ص ٤٣ .

(٢) محفظة ٦ وثيقة ٦٧٢ دفتر ١٨ ملخصات المعية السنية في ١٢ جهاد

أول سنة ١٢٤٠ الموافق ١٨٢٤ م .

(٣) دفتر ١٩ صادر معية تركى ، وثيقة ٣٦٧ . ٣٧٠ في غرة رجب

سنة ١٢٤١ هـ الموافق ١٨٢٥ م .

اختيارهم من الوجه البحرى راجعا الى اجدتهم فن زراعة الأرز الذى رغب محمد على فى زراعته فى السودان ، ومن المحتمل أن يكون هذا الاختيار راجعا الى أن الوجه البحرى كان أكثر تقدما فى الزراعة عن بقية الأقاليم المصرية الأخرى وذلك لاعتدال مناخه .

بالإضافة الى ذلك فان محمدا عليا ، زود المزارعين السودانين بما يحتاجونه من بذور ، وخاصة بذور الأرز ، التى تقرر زراعتها فى اقليم سنار وضواحيه وقد بلغت كمية البذور التى أرسلت الى هناك ٣ أضعاف ، ه (أرادب) (٤) ولكن بعد أن أجريت زراعته فى سنار باءت بالفشل ، فربما يرجع ذلك الى عدم العناية به ، أو من المرجح أن يرجع ذلك الى عدم ملائمة مناخ سنار لنموه حيث يتميز مناخها بشدة الحرارة . ومن المعروف أيضا أن زراعة الأرز تجود فى المناطق المعتدلة ، وليس فى المناطق الحارة ، والدليل على ذلك أن زراعته نجحت فى دنقلة ، وذلك فيما يبدو لاعتدال مناخها بعض الشيء ويرجع تاريخ زراعته فى دنقلة الى عام ١٨٢٩ ، ففى هذا العام زرعت مساحة من الأرز هناك ، وذلك لاستخدام انتاجها كغذاء لجنود الجهادية ، بدلا من جلبه من مصر ، وكان قد تقرر أن تستخدم المدقات الخشبية فى نزع بذوره ( الدرس ) (٥) .

والى جانب زراعة الأرز فى دنقلة ، تقرر أن يزرع فيها قصب السكر ، وبالنسبة لزراعة منه مساحة قدرها ١٨ فدانا ، كانت على سبيل التجربة وتشير الدلائل الى أن زراعة قصب السكر فى دنقلة ، أحرزت تقدما ، لأن مديرتها كان قد طلب من محمد على أن يوافق له على انشاء مصنع لصناعة السكر (٦) ولكن الآخر طلب من المدير أن يجرى بعض التجارب على هذا القصب لمعرفة مدى

---

(٤) دفتر ٢٠ صادر معية تركى ، وثيقة ٣٨٨٠ فى ٧ شعبان سنة ١٢٤١ هـ الموافق ١٨٢٥ م .

(٥) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٧٦٦ — ديوان خديو ، وثيقة ١٥١ ، فى ١٩ رمضان سنة ١٢٤٦ الموافق ١٨٣٠ م .

(٦) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٤٤ معية تركى ، وثيقة ٤٤١ فى ٢٩ ربيع ثان سنة ١٢٤٨ هـ الموافق ١٨٣٢ م .

صلاحيته لصناعة السكر من عدمه قبل أن ينشئ مصنعاً له ومن المرجح أن تكون زراعة قصب السكر في دنقلة قد نجحت لأن مناخها يلائم زراعته ، فالقصب من الغلات التي تجود زراعتها في المناطق الحارة ، وخير دليل على ذلك مدى نجاح زراعته في صعيد مصر .

ومن الغلات الزراعية الأخرى التي زرعت في دنقلة نبات ( الأفيون ) الذي من المرجح أن يكون محمد على قد وافق على زراعته بغرض استخدامه في الأغراض الطبية ، ولكن زراعته لم يقدر لها النجاح ، ربما يرجع ذلك إلى سوء المناخ والتربة ، ويؤكد ذلك قراءة البند الرابع من بنود مجلس المشورة الذي انعقد في الخرطوم في ٨ محرم سنة ١٢٤٢ هـ الموافق ١٨٢٦م والذي نص على وقف زراعة الأفيون وذلك لعدم نجاحها .

لم تقتصر الزراعة في السودان على الغلات السابقة فحسب ، بل زرع السكان القمح والشعير والذرة ، وكانوا يستخدمون السواقي في رى هذه الغلات ، وقد بلغ عددها نحو ٦.١٢ ساقية ، كان منها ٢٤٥٠ ساقية صالحة للاستعمال ، ٥٥١ ساقية معطلة ، ٢.١١ ساقية قابلة للإصلاح ، وبلغ عدد المواشى التي استخدمت في إدارة هذه السواقي نحو ١.٢٤٨ رأساً ، وكان محمد على قد أمر بإصلاح السواقي المعطلة كما أمر أيضاً بزيادة عدد المواشى اللازمة لأدائها . (٧)

لم يقتصر محمد على اهتمامه بالزراعة على إقليم دنقلة فحسب ، بل اهتم أيضاً بإقليم سنار الذي يتميز بخصوبة تربته ووفرة مياهه فأنشأ فيه حوالي ١٥٠٠ ساقية ، كما زوده أيضاً بعدد من الماشية بلغ حوالي ٢٦٠٠ رأس ، وفي نفس الوقت كان قد زود المزارعين في كردفان بنحو ٢٠٠٠ رأس من الماشية . (٨)

- 
- (٧) محفظة ٢٦٨ عابدين - وثيقة ٤٠ في ٢٧ شوال سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩ م .
- (٨) محفظة ٢٦٨ عابدين وثيقة ٧٨ في ٢٥ شوال سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩ م .

بالإضافة الى ذلك كله ، فان محمدا عليا زود المزارعين السودانيين  
ايضا بعدد من اسلحة المحاريث المصرية بلغ حوالى ٥٠٠ سلاح ، وكانت  
هذه الاسلحة تعتبر تطورا عظيما بالنسبة للزراعة السودانية ، لانها حلت  
محل السلوكه فى حرث الأرض (٩) .

لم يكف محمد على بذلك بل طلب من الحكمدار أن يرسل ستة من أبناء  
وجهاء السودان ، كى يتعلموا العلوم الزراعية الحديثة فى مصر ، حتى  
يتمكنوا بعد عودتهم الى بلادهم من المساهمة بقسط وافر فى تقدم الزراعة  
السودانية ، وفى هذا الصدد يخاطب محمد على حاكم السودان بقوله :

« اكتبوا أن اللازم الى هؤلاء هو تعلم علم الزراعة ، فيجب انحاقهم  
بالمدرسة التجهيزية فى الوقت الحاضر ، توطئة لتعليمهم العلم المذكور ،  
ان شاء الله تعالى ، ويجب معاملتهم معاملة ممتازة نوعا ما عن اتلاميذ  
الآخرين ، نظرا لمحببتهم من بلاد بعيدة ، ومع انه خصص خادم لكل عشرة  
من التلاميذ ، الا ان الواجب يقتضى تخصيص خادم لهؤلاء الستة حتى  
لا يفترقوا عن بعضهم والعناية بتعليمهم القراءة والكتابة جيدا ، حتى اذا  
ما ظهرت كفايتهم ، بدأوا فى تعلم علم الزراعة ، فنخطركم باننا سوف نرسل  
اوائك الاولاد الستة اليكم مع القواص مصطفى » . (١٠)

من المرجح أن هؤلاء التلاميذ بعد أن اتهموا دراستهم فى مصر عادوا  
الى بلادهم ، وربما ساهموا بعلمهم فى خدمة الزراعة ، التى كانت تتعرض  
فى بعض الأحيان لغزو جيوش الجراد ، التى كانت تقضى فى بعض الاوقات  
على معظم هذه المزروعات وحينما علم محمد على بذلك طلب من حاكم  
السودان أن يستخدم كافة الوسائل فى سبيل القضاء على الجراد ، ويتضح  
ذلك من خطابه الى مدير كردفان الذى جاء فيه ما نصه :

---

(٩) السلوكه : عبارة عن عصا طويلة من الخشب ، يوجد فى احد  
اطرافها قطعة مدببة من الحديد ، يستخدمها السكان فى حفر الأرض الى نقر  
لكى يضموا فيها البذور ثم يتركونها للطبيعة تتولى امرها .  
(١٠) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٠٦ صادر ديوان المعاونة —  
جهادية — وثيقة ٩١٢ فى ٩ جباد آخر سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩ م .

« ارنى همتك عند ما يظهر ذلك الجيش من الجراد لا سمح الله ، ففى الحال أهجم عليه بالعساكر والأهالى ، وبادروا باتلافه وحيث أنه سوف يدفن بيضه هنا وهناك ، فاعثروا على مكانه من غير تردد وأتلفوه ، وابذل جهدك واجتهادك لحفظ مديرتك وصيانتها من ضرره ، وهذا ما لزم اشعارك به (١١) .

يبدو أن كل الجهود التى بذلها محمد على فى سبيل النهوض بالزراعة السودانية لم تأت بالنتيجة المرجوة لكنها كانت تعدد على جانب كبير من الأهمية . وربما ظهرت نتائجها على السودانين فيما بعد .

### ثانياً — الغلات الزراعية :

كان من أهم الغلات الزراعية السودانية ، التى استغلها محمد على لصالح القطرين بذرة القطن والأبنوس والصمغ والسنامكى ومواد أخرى كالأخشاب ودودة الحرير .

#### ١ — بذرة القطن :

كان القطن (١٢) من الغلات الزراعية التى تنمو على نطاق ضيق فى

(١١) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٩٣ صادر ديوان المعية وثيقة ٦٢ فى ٢٤ رمضان سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .

(١٢) زرع القطن فى مصر قبل عصر محمد على ، ولكنه كان تصير التيلة خشن الملمس ، وعرف باسم القطن البلدى ، واستمرت زراعته فى مصر حتى عصر محمد على ، ولكن إنتاجه قل من ٥٠٠٠ قنطار عام ١٨٢٣ ، الى ٦٠٠٠ قنطار عام ١٨٣٣ ، والى جانب النوع البلدى زرع نوع آخر يعرف باسم قطن جوميل بك ، لأن محو بك اكتشف بذوره فى حديقة منزل جوميل بك ، فعرف باسمه وقد زرع هذا النوع منذ عام ١٨٢١ ، والى جانبه زرع أيضاً قطن مالمطه ( نانكين ) وفى عام ١٨٢٣ م زرع القطن السودانى ، وكان طويل التيلة ناعم الملمس ، واستمر يزرع بمصر حتى عصر اسماعيل .

السودان ، وكان من أشهر البلاد التي ينمو فيها بلدة مكادة التابعة للحبشة ، والتي تبعد عن حدود السودان الشرقى حوالى ١٥ ميلا ، وكان سكان هذه البلدة يستغلونه في صناعة الملابس والشيلان ، التي أعجب بها المعلم (حنا الطويل) المسئول عن جمع الضرائب في السودان . فعند ما زار هذه القرية اشترى لنفسه ثالا من شيلانها ، ولما عاد الى مصر ، ورآه محمد على ، يضع هذا الشال ، فوق اكتافه سأله بقوله :

« من أى جهة حصلت منها على هذا الشال يا حنا؟ » فقال حنا الطويل: « ان هذا النوع من الشيلان يسمى فروة وهو يصنع من القطن الذي ينبت في أرض مكاده التابعة للحبشة ، والتي تبعد عن سنار ١٥ مرحلة ، . وكان محمد على قد اعجب بهذا الشال وعلى اثر ذلك طلب من ( عثمان بك ) مدير سنار ان يرسل له كمية من بذور هذا القطن ، لزراعتها بمصر كتجربة أولى ، وبعد نجاحها سوف تتمم زراعتها على نطاق واسع في كل جهات القطر المصرى ويتضح ذلك جليا من خطاب محمد على الى حاكم السودان الذى جاء فيه :

« لما كانت رغباتنا منصرفة الى عمران مصر بالاكتار من زرع المواد الناعمة والمفيدة فيها ، واقامة الآثار الخيرية التي من شأنها ان يذكر الناس بالخير أصحابها ، فقد رغبتنا في جلب كمية من هذا القطن لمعاينته ، كما رغبتنا في جلب القدر الممكن جلبه من بذرته لزراعتها هنا ، ومن أجل ذلك اوفدنا اليكم احد القواصين لهذه الغاية ، وانا لناهل ان تتوسلوا بالأسباب التي ترونها لجلب بعض القطن ، ومقدار ما يمكن من البخرة ، سواء بارسال مندوبين أو بتحرى الخطابات ثم تسليمها الى القواص ، واعادته ائينا وعليكم ان تمنوا كل العناية بأمر رغبتنا هذه واياكم والتهاون في ذلك » . (١٣)

بمجرد ان تسلم حكامدار السودان خطاب محمد على ، أرسل اليه كمية من القطن الشمر ، ومعها كمية من البذور المطلوبة ، فبالنسبة لكمية

---

(١٣) دفتر ١٤ معية تركى ، وثيقة ٦١٧ في ١٦ ربيع ثان سنة ١٢٤٠ هـ

الموافق ١٨٢٤ م .

للقطن الشعر ، فقد أرسلت الى الفبارك لنسجها وعمل التجارب عليها لمعرفة مدى صلاحيتها للنسيج من عدمه (١٤) وبالنسبة لكمية البذور التي وردت من السودان فقد امر محمد على بزراعتها في أرض شبرا (١٥) وربما يرجع اختياره لأرض شبرا لأنها تتميز بخصوبتها ، حيث توجد فيها كافة المحاصيل الزراعية المختلفة ، بالإضافة الى ذلك فانها كانت قريبة من مقر الوالى ، كى يتابع عن قرب تطورات هذا المحصول الجديد ، زيادة على ذلك فان شبرا كان يوجد بها ( الفابريكة ) مصنع النسيج الذى كان من المحتمل أن تجرى فيه كافة التجارب على القطن الشعر الذى ينتج من مزارع شبرا .

استمر اجراء التجارب على بذور القطن السودانى عددا من السنين ، زرع بعدها على نطاق واسع ، وقد لوحظ على لوزات هذا القطن انها ذات لونين ، كان أحدهما أسود ، وهذا النوع كان ذا محصول قليل ، وكان الثانى اخضر اللون ، وهو ذو محصول كبير (١٦) وكان محمد على قد طلب في عام ١٨٤٢ م من حاكم السودان أن يرسل له كمية أخرى من بذور هذا القطن لى يواصل اجراء التجارب عليه ، وقد بادر حاكم السودان بارسال ٨٣٥ أردب من البذور التى وزعت بالتالى على المزارع الميرية ( الجفالي ) وبعض المديرىات الأخرى وكان قد تقرر أن يزرع في كل جهة من هذه الجهات ثلاثة أفدنة على شرط أن تكون من الأرض الجيدة (١٧)

- 
- (١٤) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢١ صادر معية وثيقة ٢٩٠ في ١٤ ربيع أول سنة ١٢٤١ هـ الموافق ١٨٢٥ م .
- (١٥) محافظ أبحاث السودان دفتر ٨٥٦ ديوان خديو وثيقة ٣٣٨١ في ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٤١ هـ الموافق ١٨٢٥ م .
- (١٦) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٥١ معاونة إيرادات ، وثيقة ٥٠٩ في ٣ ذى الحجة سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩ م .
- (١٧) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٧٩ صادر ديوان المعية ، وثيقة ١٨٤٢ في ٢٥ ربيع آخر ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .

وبعد جنى المحصول يرسل منه قنطار الى الفبارك لاجراء التجارب عليه  
لمعرفة مدى صلاحيته من عدمه . (١٨)

## ٢ - الأبنوس :

جلب محمد على من سنار بذور الأبنوس ، وذلك لزراعتها في مصر ،  
وقبل ان يبدأ عملية الزراعة قام بتقسيم هذه البذور الى ثلاثة اقسام ،  
أرسل الأول منها الى ناظر شبرا ليقوم بزراعته ، وأرسل الثانى الى  
الاعا الكتخدا ، يبدو انه ناظر الزراعة ، وأرسل الثالث الى ناظر الغابات  
( الأورمان ) في طنطا وذلك لزراعته هناك ، وكان محمد على قد أمر هؤلاء  
النظار بان يقوم كل منهم في كل شهر بزراعة مقدار من البذور التى تسلمها ،  
وعند نموها بنجاح في أى شهر من الشهور التى تمت فيها هذه التجربة ،  
نزرع باقى البذور في هذا الشهر دفعة واحدة وبكل عناية (١٩) . ويبدو ان  
زراعة الأبنوس في مصر باءت بالفشل ، ولم تحقق أى نجاح ، وذلك لاننا  
لم نجد فيما بعد أى أثر للأبنوس في مصر ، ومن المرجح ان السبب في عدم  
نجاح زراعته يرجع الى عدم ملائمة المناخ المصرى له ، فالأبنوس ينمو في  
المناطق الحارة والمطيرة .

## ٣ - الصمغ :

جاء جلب الصمغ السودانى الى مصر متأخرا ، بمعنى أن محمدا عليا  
لم يتم جلبه الا عام ١٨٤٣ م ، ومن المرجح أن يكون السبب في تأخر جلب  
محمد على له هو أن تجارته لم تكن رائجة ولكن في هذا العام نلاحظ انه  
احتكر تجارته لحسابه ، فمن المرجح أن يكون الصمغ في هذه السنة قد  
ارتفع سعره ، وأصبح معروفا لدى الأوربيين الذين زاروا السودان ، بعد  
الفتح المصرى .

- 
- (١٨) محافظ أبحاث السودان - دفتر ١٦٩ ديوان الخديو ،  
وثيقة ٣٣٨١ في ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .  
(١٩) دفتر ٧٧٩ - صادر ديوان الخديو وثيقة ٦٦١ في ٢٧ ربيع آخر  
سنة ١٢٤٨ هـ الموافق ١٨٣٢ م .

وفي عام ١٨٤٣ م أرسل حاكم السودان كمية من الصمغ بلغت ١٩٢٦ رحلة (٢٠) وبعدها أرسلت كمية أخرى ، بلغت ٣٠٩٤٠ قنطارا ، ولكن لم يكف محمد على بهذا القدر بل طلب المزيد ، وفي هذا الصدد يخاطب الحكمدار بقوله : —

« نحن في ضيق من المال ولا يخفى على علمكم رواج ذلك الصمغ ، فان كان لم يصل بعد الى المحروسة ، فاكتبوا الى مدير كردفان واكدوا عليه بأن يسرع بارساله وهذا ما لزم اشعاركم به » . (٢١)

ولكى يزيد محمد على من كمية الصمغ المطلوبة الى مصر ، أرسل بعض الأئراد الى السودان ، وذلك للإشراف على شئون الصمغ وعلى سرعة شحنه الى مصر (٢٢) وكان من هؤلاء الأفراد شاكرك قيودان ، والصاغقول عبد الله أفندي والصاغقول أغاسى أمين أفندي ، وقد تقرر أن يكون مقر الأول في كردفان ، والثاني في دنقلة والثالث في وادي حلفا ، وأما شونة اسوان فقد تعين لها أمين جبركها ، للقيام بهذه المهمة، الى جانب عمله (٢٣).

وبعد أن تولى هؤلاء مناصبهم الجديدة حثهم محمد على ، على الاهتمام بجلب الصمغ ، ويتضح ذلك من قوله :

« عليكم أن تبادروا بشحن الصمغ بمجرد وصولكم الى الجهات التي عينتم بها ، واحذركم التقصير ، فاذا تصرتم ، فسوف تلاقون منا اللوم

- 
- (٢٠) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠٩ معاونة أقاليم ، وثيقة ١٥٢ في ١٣ صفر عام ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .
- (٢١) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠٦ صادر شورى المعاونة — وثيقة ٢٣٠ في ٢٥ ربيع آخر سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .
- (٢٢) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠٩ معاونة أقاليم وثيقة ٦٧٨ في ٨ رجب سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .
- (٢٣) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠٩ معاونة أقاليم وثيقة ٦٥٣ في ٢١ جماد ثان سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

والتوبيخ والعقاب ، واذا وجدتم انتم بعض التقيير من حكام البلدان فعليكم ان تنبهوا هؤلاء الحكام الى ذلك ، وفي حالة عدم استجابتكم لهذا التوجيه ، فاننى سوف اتخذ اللازم واطلب منكم ان توافقونى بكشف يتضمن مقدار ما تم شحنه من الصمغ مرة كل عشرة ايام » (٢٤) .

لم يقصر محمد على تحذيره على مأمورى جلب الصمغ ، بل حذر ايضا حكام السودان بقوله :

« ان الصمغ رائج جدا فى الاسكندرية وان الضائقة المالية المتوقعة من المال سوف تزول بهتمكم كما هو مأمول ، وعليكم عدم التأخير فى ارسال الصمغ ، بل يجب ارساله دفعة واحدة ، واطلب شحنه بالقوارب عاجلا وارساله الى مصر على وجه السرعة » (٢٥) .

على الرغم من سياسة الاحتكار التى فرضها محمد على ، على تجارة الصمغ ، الا انه سمح لتجار بعض الدول الأوروبية بالاتجار فيه على شرط ان يحصل التاجر على تصريح مسبق يخول له حرية التجارة فى الصمغ ، والا صودر ما معه ، فعند ما قام المسيو ماربورفو Marborfou النمساوى الجنسية ، بشراء كمية من الصمغ ، وحاول المرور بها من جبرك أسوان ، منعه أمين الجمر من المرور ، وذلك لفقدانه التصريح الخاص به ، ولكن لما علم محمد على بذلك امر أمين الجمر ان يسمح له بالمرور ، بعد ان يستوفى الرسوم الجمركية المقررة من هذا التاجر عينا اذا تعذر عليه دفعها نقدا . (٢٦) وفى عام ١٨٤٤ اشترى أحد التجار الفرنسيين من كردفان كمية من الصمغ بلغت ٧٢٠ قنطارا ، وعند مروره بهذه الكمية من جبرك أسوان

---

(٢٤) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠٩ معاونة اقاليم وثيقة ٦٥١ فى ٢١ جاد ثان سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

(٢٥) دفتر ٢١٠ صادر ديوان المعاونة ، وثيقة ١١٩٠ فى ٢٧ ربيع آخر سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

(٢٦) دفتر ٣٦٩ معية تركى — وثيقة ٤٠٠٤ فى ١٤ رجب سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

منعه أمين الجمرك (٢٧) ، ويبدو أن هذا التاجر لم يكن لديه تصريح يخول له نقل هذا الصمغ ، أو ربما لعدم مقدرته على دفع الرسوم الجمركية ، وعند ما حاول المسيو ثيبو الفرنسي الجنسية المرور من جمرك الاسكندرية وكان معه كمية من الصمغ بلغت حوالي ١٧٠٠ قنطارا ، منعه أمين الجمرك من المرور ، بناء على تعليمات المالية ، التي كانت تقضى بمصادرة الصمغ الذي يمر بدون تصريح مسبق ولكن لما علم محمد على بذلك طلب من أمين جمرك الاسكندرية أن يسمح له بأخذ ألف قنطارا فقط ، وذلك حفاظا على استمرار العلاقات الودية بين مصر وفرنسا وعلى شرط الا يتكرر هذا العمل مرة ثانية (٢٨) .

من المعروف أن علاقة مصر بفرنسا كانت طيبة للغاية ويتضح ذلك من المعاملة الحسنة التي كان يلقاها التجار الفرنسيون من قبل السلطات المصرية ، فعندما ضبطت مع أحد التجار الفرنسيين كمية من الصمغ صودر جزء منها لحساب الحكومة وترك الباقي لهذا التاجر حيث بلغت كميته ٦٠ قنطارا (٢٩) .

حذر محمد على مدير كردفان من عدم الاهتمام بارسال كميات الصمغ المطلوبة ، ويتضح ذلك من خطابه اليه والذي جاء فيه ما نصه :

« أعلم أننا أوفدنا اليك القواص حسين الملا ، فاذا كنت بحكم قلة أدبك لم ترسل هذه الاشياء والمواد حتى الآن عليك بارسالها في الحال ، ووفيني مع القواص بخبر ارسالها ، والا فتأكد أننا سنخفيك هناك ، واياك ثم واياك ومعامدة أحمد باشا (حكمدار السودان ) فلا بد من اطاعة اوامره

---

(٢٧) دفتر ٣٧٨ معية تركى - وثيقة ١٦٠١ في ٢١ رجب سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٤ م .

(٢٨) محافظ أبحك السودان - دفتر ٣٩٠ صادر ديوان المعاونة ، وثيقة ٢٤٨ في ١٧ شوال سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .

(٢٩) محافظ أبحك السودان - دفتر ٣٩٣ صادر ديوان المعاونة ، وثيقة ٤٢٨ في ٧ محرم سنة ١٢٦٢ هـ الموافق ١٨٤٥ م .

جميعها » (٣٠) وأضح من هذا الخطاب مدى اهتمام محمد على بجلب الصمغ حتى أنه لا يتورع عن انزال أقصى العقوبة على المقصرين في جلبه .

وفي نفس الوقت طلب من مدير دنقلة أن يصنع عددا من الزناويل الخاصة بتعبأة الصمغ ، من زعف النخيل الموجود بوفرة في دنقلة ، بدلا من أن يستخدمها الناس في الوقود أو أن يصنعوا منها حصرا لافتراشها على الأرض (٣١) ، وإلى جانبها استخدمت أيضا الجلود والزكايب والقنف زيادة على ذلك فان محمد على ، طلب من مدير دنقلة أن يرسل الى مدير كردفان ١٠٠٠ كيسة من النقود كي يستخدمها في شراء الصمغ المطلوب ، ولكن مدير دنقلة لم يرسل الا ٥٠٠ كيسة ، مما اضطر محمد على أن يحذره بقوله :

« أقول لك أن هذا الصمغ رائع وكثرة محصوله موجبة وذلك لزيادة منفعة الحكومة ، فإرسال ذلك المبلغ من الصمغ على وجه السرعة أمر لازم ، بما هو قصدك بإرسال ٥٠٠ كيسه فقط ، فهل تصدك أن تنقص منفعة المرى بنقص وارد المحصول مع رواجه ، عدا ما فعلته في مديرتك من المضار ، أتحذرك بضرورة التمعل بالخمسمائة كيسة الباقية ، واحذرك إلا تؤخر الصمغ دقيقة واحدة ، ولو حدث ذلك فانك لم تخلص من يدى باى وجه من الوجوه » (٣٢) .

ولما تسلم مدير كردفان النقود المطلوبة ، بدأ في شراء الصمغ وبدأ محمد على بالتالى يستعجله في ارسال المزيد منه وذلك واضح من خطابه اليه والذي جاء فيه ما يلى :

- 
- (٣٠) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٨٧ — معية تركى وثيقة ١٠٢  
في ١٥ ربيع اول سنة ١٢٦١ الموافق ١٨٤٥ م .
- (٣١) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٧٨ معية تركى وثيقة ١٥١١٧  
في ١٠ رجب سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .
- (٣٢) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٩٣ صادر المعية ، وثيقة ٥٧ في  
٢٢ رمضان سنة ١٢٦١ الموافق ١٨٤٥ م .

« يا مدير كردفان ، ابدل جهتك لتوريد الصمغ بالزناجيل التي ستأتي لك من الخرطوم أو من دنقلة ، أو التي يمكن الحصول عليها من مديريتك ، أو بالجلود وأبعث إلينا كشفا على وجه السرعة بكل مقدار تورده (٣٣) » .

كان من نتيجة هذه الإجراءات التي اتخذها محمد علي ، أن بلغت كمية الصمغ التي وردت إلى شونة الدبة ، نحو ١٨٨١٩ قنطاراً ، ولكن بالتميم على هذه الكمية ، وجد أن وزنها يبلغ ١٦٤١٩ قنطاراً ، أي أنها نقصت ٢٤٠٠ قنطار ، لكن لما علم محمد علي بذلك طاب من حكمدار السودان ، إجراء التحقيق فوراً ، لمعرفة الأسباب التي أدت إلى نقص هذه الكمية من الصمغ (٣٤) فمن المحتمل أن يكون الجمالة قاموا بسرقتها أو ربما تكون هذه الكمية قد تبخرت نتيجة لعملية تحميل الجمال والنقل من مكان لآخر ، ومن المرجح أن يكون هذا النقص في كمية الصمغ ناتجاً عن جفافه بسبب تعرضه لحرارة الشمس .

واصل محمد علي مخاطبته إلى مدير كردفان ، يطلب منه الاهتمام بإرسال الصمغ حتى لا يتعرض للبعثرة والتلف ويتضح ذلك من الخطاب التالي : —

« فبوصول أمرى هذا إليك ابرز ما عندك من الجهد والاهتمام وانقل الصمغ الموجود في تلك الجهة إلى دنقلة بأجمعه ، ولا تترك منه حبة واحدة ، وعرفنى بأنك آتيت على آخره وأرسله كله وهذا مطلبى » (٣٥) .

يبدو أن مدير كردفان كان قد تضايق من كثرة الخطابات التي يرسلها له محمد علي وخاصة ما يتضمنه بعضها من عبارات قاسية ، مما اضطر

---

(٣٣) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٩٣ صادر المعية ، وثيقة ١٩٩ في ١٠ القعدة سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .

(٣٤) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٩٢ معية تركى وثيقة ٢٢٢٢ في ١١ رمضان سنة ١٢٦٢ الموافق ١٨٤٥ م

(٣٥) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٤٣٢ صادر المعية ، وثيقة ٤١٣ في ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٦٣ هـ الموافق ١٨٤٥ م .

محمد على الى مخاطبته وافهامه بأن يكون واسع الصدر ، ويتضح ذلك من قوله :

« يا مدير كردفان لا يضيقُ صدرك بهذا التكليف ، واخبرنى حقيقة الحال حتى اعرفه ، فأعمل الأسباب الموجبة ، لازالة التعويق والتأخير الحاصل في مسألة توريد الصمغ واجتهد في الإكثار من توريده ، فاستنطفك بحبك لله تعالى أن تعرفنى سريما الجواب » (٣٦) .

بالإضافة الى ذلك فإن محمد على طلب من حاكم السودان ، أن يجعل الجنود تساهم في جمع الصمغ ، من أماكن وجوده وأن يعملوا تحت إشراف ناظر مصلحة الصمغ ، الذى كان يقيم في مديرية كردفان (٣٧) من المرجح أن يكون السبب في تعيين الجنود لتقييم مهمة جمع الصمغ هو ارسال كميات كبيرة من الصمغ ومن المحتمل أيضا أن يكون السبب في ذلك هو مساعدة مدير كردفان في ارسال أكبر قدر ممكن من الصمغ .

وكان من نتيجة مساهمة الجنود في جنى الصمغ ، أثره الفعال في زيادة الكميات المرسله الى شونة الدبة ، وقد زاد من حدة هذا التراكم النقص الواضح في عدد المراكب المخصصة لنقل الصمغ التى كان استخدامها مرهونا بارتفاع وانخفاض منسوب المياه في النهر ، فاذا كان منسوب المياه منخفضا توقف النقل بالمراكب نهائيا ، واذا كان منسوب المياه مرتفعا، استمرت حركة نقل الصمغ . وكان قد اقترح أن ينقل الصمغ على ظهور الجمال في موسم انخفاض مياه النهر ، ولكن لما عرض الأمر على ، محمد على رفضه ، خوفا من بعثرة الصمغ نتيجة لعملية التحميل والنقل من مكان لآخر (٣٨) .

استمر استقلال محمد على للصمغ منذ عام ١٨٤٣ ، وحتى عام ١٨٤٨ ،

- 
- (٣٦) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٩٣ صادر ديوان المعية — وثيقة ٤٥٧ في ١٢ محرم سنة ١٢٦٢ هـ الموافق ١٨٤٥ م .  
(٣٧) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٩٩٤ صادر الإفادات ، وثيقة ٧٥٥ في ٢٣ جماد ثان سنة ١٢٦٢ هـ الموافق ١٨٤٥ م .  
(٣٨) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٤٣٨ ، معية تركى ، وثيقة ١٢٨١ في ٢٨ صفر سنة ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٧ م .

فى هذا العام سمح لبعض التجار الأوربيين كالفرنسيين والانجليز بالانتجار فى الصمغ ، والدليل على ذلك انه عندما اعترض أمين جبرك مصوع احد التجار الانجليز ومنعه من المرور بما معه من صمغ اتصل قنصل بريطانيا بمحمد على ، الذى أمر أمين الجمرک بأن يسمح لهذا التاجر بالمرور من الجمرک ، على شرط أن يدفع الرسوم الجمركية المقررة والبالغ قيمتها ١٢٪ ، وفيما بعد نجد محمد على يأمر حكمدار السودان بعدم منع أى احد من التجار من الانتجار فى الصمغ وخاصة من الأوربيين (٣٩) من الملاحظ أن محمد على الفى الاحتكار تدريجيا ولم يلغفه دفعة واحدة ، حتى لا تتأثر ظروفه المالية بهذا الالغاء .

لقد تراوحت اثمان شراء الصمغ فيما بين ٢٥٠ ، ٢٦٠ قرشا للقنطار ، وتراوحت اثمان البيع فيما بين ٢٧٥ ، ٣٠٠ ، ٣٢٥ قرشا للقنطار الواحد (٤٠) من الجدول التالى يمكن التعرف على كميات الصمغ التى تم جلبها فى عصر محمد على وهى لم تكن على درجة كبيرة من الضخامة ، بحيث لا تتناسب مع كميات الصمغ الموجودة بالسودان :

الصف	السنة
صمغ	١٩٢٦ رحلة ، ٣٠٩٤٠ قنطارا
صمغ	١٩٤١٨ قنطارا
صمغ	٣٧٣٧٨ قنطارا ، ٨٤ رطلا ، ٦١١ رحلة
صمغ	٣٨٧١١ قنطارا ، ٩٩ رحلة
صمغ	٩٦٥٩٠ قنطارا ، ٣٣ رطل
صمغ	٧١١٠١ قنطارا ، ١٥٩ رطل ، ٥٠٠ رحلة
صمغ	٩٣٥٨٤ قنطارا ، ١٥٩ رطلا
صمغ (٤١)	٣٢٦٠٦ قنطارا ، ٤٩ رطلا

(٣٩) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٤٥٨ صادر المعية ، وثيقة ٥١٧ فى ١١ شوال سنة ١٢٦٥ هـ الموافق ١٨٤٨ .  
(٤٠) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٥٩٠ ديوان الكتخدا ، وثيقة ١٨٨٧ فى ٢٦ ربيع اول سنة ١٢٦٥ هـ الموافق ١٨٤٨ م .  
(٤١) أنظر محافظ أبحاث السودان فى الفترة ما بين ١٢٣٥ هـ — ١٢٦٦ هـ

## ٤ - السنامكى :

السنامكى من الغلات الزراعية التى استغلت بمعرفة محمد على ولكن استفلالها جاء متأخرا ، يبدو لأنها لم تكن رائجة من الناحية التجارية كبقية الغلات ، وقد شجع ذلك التجار الأوربيين على الاتجار فيها ، ففى عام ١٨٤٣ جلب تاجر نمساوى من السودان كمية منها ، بلغت حوالى ٧٦ قنطارا ، ولكن عند مروره من جمرک اسوان منعه أمين الجمرک ، مع انه ، كان قد سدد الرسوم الجمركية المتررة ، فاضطر أن يشكو الى قنصل النمسا بالقاهرة ، الذى اتصل بدوره بالسلطات المصرية ، وطلب منها أن تسمح لهذا التاجر بالمرور (٤٢) .

واستند فى ذلك الى انه لم يعد هناك مبرر يحرم على هؤلاء التجار الاتجار فى السنامكى ، وفى غيرها . ومن المرجح أن يكون السبب فى عدم مروره من الجمرک هو عدم وصول تعليمات صريحة الى أمين جمرک اسوان ، الذى طلب من الحكومة المصرية أن تقيده بشأن الاتجار فى السنامكى بالنسبة للتجار الأجانب من عدمه (٤٣) .

ولكن فيما بعد اتضح أن السنامكى كانت من الغلات التى احتكرها محمد على ، ويتضح ذلك من خطابه الى مدير دنقلة الذى جاء فيه ما يلى :

« عليكم بمجرد وصول أمرى هذا أن تبادروا الى تعيين طائفة من الناس يتولون جمع هذا المحصول اذا كان الوقت قد آن لجمعه ، وولوا هذا الأمر كل عنايتكم واهتمامكم ، ووافونا بمقدار ما يجمع منه ، ولا تستعلموا منا عن المقدار المطلوب توريده من هذه السنامكى ، فكلما زادت الكمية الموردة منه كان سرورنا منكم لذلك جد عظيم » (٤٤) .

- 
- (٤٢) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٦٩ معية تركى ، وثيقة ٤٣٣.  
فى ١٥ شعبان ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .
- (٤٣) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٦٩ معاونة إيرادات وثيقة بدون رقم فى ٢٧ رجب سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .
- (٤٤) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٣٧٧ معية تركى ، وثيقة ١٢٦٩  
فى ١٠ ربيع ثان سنة ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م .

ولكى ينفذ مدير دنقلة مطلب محمد على أنشأ ثلاث شون لتخزين السنامكى التى يتم جمعها ، وقد تمكن هذا المدير ، بعد فترة من العمل المتواصل من جمع كمية كبيرة من السنامكى بلغت ، ١٠٥٠٠ قنطار ، أرسلت الى مصر واستمر المدير فى ارسال الكميات التى يتم الحصول عليها حتى عام ١٨٤٧ ، ففى هذا العام أصدر الوالى تعليماته بوقف تصدير السنامكى الى مصر على شرط ان تخزن كمياتها التى تم جمعها فى الشون الخاصة بها حتى لا تتعرض للتلف .

بعد فترة طلب ناظر المالية من مدير دنقلة أن يترك السكان يتصرفون فى محصول السنامكى كما يشاءوا (٤٥) .

يبدو أن التجار لم يقبلوا على شرائها ، غلو كانوا اقبلوا عليها لجلب محمد على منها كميات كبيرة ، وما كان قد أصدر تعليماته بوقف جلبها وعلى الرغم من التعليمات الصادرة الى مدير دنقلة التى كانت تقضى بوقف جمع السنامكى . الا أن التجار ظلوا يوردون الى شون دنقلة الكميات التى يجمعونها من السكان ، مما اضطر محمد على أن يصدر أمرا الى مدير دنقلة يخبره فيه بأن يصادر كل ما يجلبه التجار من هذه القلة (٤٦) بالإضافة الى ذلك فانه طلب أيضا ان يترك للسكان حرية التصرف فى محصولها (٤٧) .

من الملاحظ أن محمد على ، وافق على سياسة الغاء الاحتكار ، ولكن هذه الموافقة كانت على حسب ما يتمشى ومصالحته الخاصة . بمعنى انه اذا كانت هناك غلة رالجة تصر الاتجار فيها على الحكومة واذا كانت غير رالجة ترك للسكان حرية التصرف فى انتاجها .

---

(٤٥) دفتر ٤٣٨ معية تركى ، وثيقة ١٥٦٦ فى ٢١ ربيع أول سنة ١٢٦٤ الموافق سنة ١٨٤٧ م .

(٤٦) محنظة ٣ اوامر للمالية — وثيقة ٣١٢ فى غرة القعدة سنة ١٢٦٤ الموافق سنة ١٨٤٧ م .

(٤٧) دفتر ٤٣٨ معية تركى ، وثيقة ١٥١٦ فى ٢١ ربيع أول سنة ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٧ م .

جلب محمد على كميات قليلة جدا من النيلة السودانية الى مصر ومن المرجح أن يرجع ذلك الى أن النيلة السودانية كانت أقل جودة من النيلة المصرية ، وربما يرجع السبب في ذلك أيضا الى أن النيلة في مصر كانت تزرع على نطاق واسع ، هذا احتمال على جانب كبير من الصواب ، لأن محمد على كان يستورد بذورها من الهند والصين الى جانب البذور البلدية . وكان ارتفاع أسعارها يتحكم في مقدار المساحة المراد زراعتها بالنيلة ، فإذا كان سعر النيلة مرتفعا ، زادت المساحة المزروعة منها ، وإذا كان منخفضا قلت المساحة المزروعة ، حتى أنه كان في السنوات التي يكون فيها سعر النيلة منخفضا كان يترك للزراع حرية الزراعة فيها ، ويتضح ذلك من قول محمد على الى ناظر الزراعة : —

« وقد اتضح من الكشف المحفوظ بمصلحة الأصناف ، أن الأمر يقضى بالاستغناء عن زرع هذا الصنف ( النيلة ) وأن تزرع بدلا منه أصناف أخرى ، فإذا ما أمكن تصريف النيلة التي ستنتج في العام القادم يحدد مقدار النيلة التي ستزرع حسب الحاجة ، وأنه يجب أن تشتري في النيلة في هذه السنة بأسعار السنة الماضية لئلا يتراكم على المزارعين بواقي ، لأن المزارعين الأغنياء تأتي محصولاتهم وافرة بعكس الفقراء منهم ، فإذا ما نقص سعر محصولهم تضرروا من جراء ذلك وأصابهم عذر ، الأمر الذي حيل المجلس عن إصدار قرار لمكوري الوجه البحرى ، والأقاليم الوسطى بشأن صرف النظر عن تدبير أو توفير تقاوى هذا الصنف للزراعة ، وعليه نخطركم بأنه في حالة ما إذا اشترت النيلة بثلاثة أسعار ، عاد ذلك بالضرر على المزارعين الفقراء ، حيث لا يستطيعون بعد ذلك أن يدبروا أمرهم ، فيجب أن يترك للفلاحين الخيار في زرع هذا الصنف (٤٨) » .

---

(٤٨) د . أحمد أحمد الحنة : تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد على الكبير ص ٢٢٢ .

## ٦ - الأقمشة :

جلب محمد على كميات من الأقمشة أنتى كانت تصنع في بعض البلدان السودانية ، مثل دنقلة وسنار ، فكان قد طلب من مدير دنقلة أن يرسل له حوالى ثمانية آلاف مقطع من القماش وذلك لاستخدامها كملابس لجنود الجهادية . وقد تميز قماش دنقلة بالمئاتنة - عن قماش سنار وبربر وأقليم الجعليين، وقد تراوح ثمن المقطع من هذا القماش فيما بين ٨٤٧ قرشا (٤٩)

## ٧ - دودة الحرير :

لم تسلم دودة الحرير من استغلال محمد على لها ، فعندما علم بوجودها بكثرة في السودان ، قرر ضرورة العمل على الاستفادة منها وكان قد طلب من مدير كردفان أن يرسل الى مصر كمية من ديدان الحرير ، وعلى الفور قام المدير بإرسال كمية من هذه الديدان الى مصر ، ولكنها تعفنت في الطريق قبل أن تصل الى الوالى ، ويبدو أن السبب في تعفنها يرجع الى عدم العناية في حفظها وخاصة أن وصولها الى مصر كان يحتاج الى وقت طويل ، ولكن لما علم محمد على بما أصاب الديدان من تعفن طلب من مدير كردفان أن يحصل على كمية أخرى من هذه الديدان ، على شرط أن يجرى عليها التجربة التالية قبل إرسالها الى مصر ، وهى أن يقوم بتقسيم كمية الديدان المراد إرسالها الى مصر الى سبعة أقسام بعد ذلك يضع كل قسم من هذه الأقسام في داخل قطعة من القماش ، ثم تغمس القطعة الأولى بما فيها من ديدان في ماء مغلى مرة واحدة ، وتغمس القطعة الثانية مرتين والثالثة ثلاث مرات ، والرابعة أربع مرات وهكذا حتى آخر الأقسام ، وبعد عملية الغمس هذه ، تنشف بعض القطع في الشمس وينشف الباقي منها في الظل ، ثم توضع كل قطعة بما فيها من ديدان في وعاء خاص ، بحيث يلصق عليه ، ورقة تتضمن كافة المعلومات الخاصة به . وقد ذكره محمد على بطريقة أخرى وهى أنه بعد اعداد قطع قماش الديمور بما فيها من ديدان تغمس في ماء مغلى مضاف اليه رماد

---

(٤٩) محفظة ٢٦٢ عابدين ، ملف السودان ، وثيقة ٨٣ في ٢٥ ربيع ثان سنة ١٢٥٣ هـ الموافق ١٨٢٧ م .

خشب البلوط وماء الجير ، وتتم عملية الغمس بنفس الطريقة السابقة، وكان ذلك بغرض حماية هذه الديدان من التعفن حتى يمكن وصولها الى مصر ، ويبدو أن محمد على لم يكن متأكدا من نجاح هذه العملية ، لذلك نجده يستخدم طريقتين ، فلو فرض وفشلت الأولى ربما تنجح الثانية (٥٠) .

لم يقتصر وجود هذه الديدان على كردفان وحدها ، بل وجدت بكثرة في فازوغلى وعطيش والقلابات ، حيث كانت توجد على أشجار الخشخاش فكانت تعيش في شقوق هذه الأشجار ، كما كانت تعيش تحت فروعها وخاصة في الأماكن التي لا يتطرق اليها الهواء وكان من المعتاد أن تضع شرائقها إبان فصل الخريف . وإلى جانب ارسال حاكم السودان للديدان فإنه أرسل أيضا كمية من شرائق هذه الديدان (٥١) .

يبدو أن التجارب التي أجريت بالقاهرة على هذه الديدان والشرائق لم تات بالنتيجة المرجوة لذلك طلب محمد على من حكامدار السودان ، أن يرسل الديدان بدلا من الشرائق ، ويتضح ذلك من خطابه الذي جاء فيه ما يلي :

«ان تلك الديدان ستكون نافعة مفيدة جدا ، فبادروا ، حسب همتكم الى ارسال شيء منها حسبما هو مذكور في طلب كتابنا هذا (٥٢) » .

يبدو أن محمد على عندما أرسل بذور التوت الى السودان كي تزرع هناك ، كانت بغرض أن يتغذى دود القز على أوراثها ، وحتى يتمكن هو بالتالى من جلب كميات كبيرة من الحرير التي سوف يتم استخلاصه من شرائق هذه الديدان .

---

(٥٠) دفتر ٢٠ معية تركى — وثيقة ٢٨٥ في ٢٨ جماد أول سنة ١٢٤١ هـ الموافق سنة ١٨٢٥ م .

(٥١) محنظة ٢٦٢ عابدين في ١٢ رمضان سنة ١٢٥٣ هـ الموافق ١٨٣٧ م .

(٥٢) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٢٠٨ صادر ديوان معاونة اتنايم ، وثيقة ٧٧٠ في ٣ جماد سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

ومن هذا يتضح ان محمد على حاول من جانبه النهوض بالزراعة السودانية ، وذلك عن طريق ادخال غلات جديدة لزراعتها هناك ، مثل الأرز ، والتصب والتوت ، وكان ذلك عن طريق تزويد الفلاحين السودانيين ، بالادوات الزراعية الحديثة ، كاسلحة المحارث او الخبرة الفنية ، وتعتبر هذه الاجراءات على جانب كبير من الامة بالنسبة للزراعة السودانية ، وللسودانيين انفسهم ، لأنها لم تكن متوفرة لديهم من قبل .

Obbeikandi.com

## الفصل الخامس

### التقديم العمرانى فى افريقيا

عاشت معظم البلدان الافريقية فى مطلع القرن التاسع عشر فى ظل نظام تجلى متخلف، تمثل فى قيام الدويلات والممالك الصغيرة التى عاشت كل منها على حسب ما يحلو لها ، بعيدة عن مسابرة التطور الحضارى والتقدم العلمى، ولكن حينما خضعت هذه البلدان للسيادة المصرية تحققت لها مكاسب عديدة كان منها توحيد قبائلها فى وحدة سياسية واحدة وكان منها ادخال التنظيم الادارى الحديث الى هذه البلاد والعمل على النهوض بالزراعة فيها والاهتمام بالصناعة ، وبناء السفن والعمارة وحفر الآبار ، والكشف عن منابع النيل، والعمل على نشر التعليم ، وسوف يتضح لنا ذلك جليا من دراستنا لهذه العناصر كل على حدة .

#### ١ - الادارة :

بعد ان استقرت الامور لاسماعيل بن محمد على فى السودان ، وبعد ان تكون هيكل للحكومة المركزية هناك ، كان لابد من تكملة عناصر هذه الحكومة ، حتى يمكن لها ادارة شئون البلاد طبقا لما هو متبع فى مصر وفى غيرها من بلدان العالم المتحضر ولكى يحقق اسماعيل هذا العمل على الوجه الاكمل اتخذ عدة اجراءات كان منها : -

- تقسيم البلاد السودانية الى عدد من المديرىات وجعل على رأس كل منها مدير ، وقسمت كل مديرية الى أقسام جعل على رأس كل منها أيضا ناظرا وقسم أيضا كل قسم الى أخطاط جعل على رأس كل منها حاكما (١)

(١) أحمد أحمد سيد أحمد ، دكتور ، رفاعة الطهطاوى ص ٤٦ .

وقد ضم كل خط من هذه الاخطاط عددا من القرى يتراوح فيما بين ١٠ ، ١٥٠ .  
١٧ قرية ، وقد زود حاكم الخط بحصان ليركبه اثناء مروره على مجموعة  
القرى التابعة له ، بالإضافة الى تزويده بعشرة من الفرسان العرب وبعشرة  
من المشاه المفارية ، وبخمس من جنود الشايقية ، وقد عين على كل عشرة  
من الجنود شخصا برتبة كاشف أى رئيس جماعة (٢) .

بالإضافة الى ذلك فان اسماعيل فرض ضريبة على كل قرية ، قدرت بحوالى  
الفى ريال ، وقد روعى فيها مبدأ العدالة بحيث تتناسب ، ودخل كل مرد  
فمن أجل ذلك قسمت المنازل الى طبقات ثلاث كانت على النحو التالى ، العليا  
وهى المنازل التى تقطنها الطبقة الغنية ، والوسطى وهى المنازل التى تقطنها  
الطبقة الوسطى ، والدنيا ، وهى المنازل التى تقطنها الطبقة الفقيرة ،  
وكانت كل طبقة من هذه الطبقات ، تدفع من الضرائب ما يتناسب مع  
دخلها ، وكان الفرض من جمع هذه الضرائب هو الانفاق منها  
على القوات العسكرية ، ورجال المرى ، والموظفين (٣) .

ولكى لا تنهرب أية قرية من دفع الضرائب المقررة عليها امر اسماعيل  
باجراء احصاء لعدد القرى التى تخضع للإدارة المصرية فى السودان فوجد  
أن عدد القرى التابعة لكرديان تبلغ حوالى ١٥٠٠ قرية ، والقرى التابعة  
لاقليم غازوغلى تبلغ حوالى ١٠٠٠ قرية ، والقرى التابعة لاقليم سنار والحلفاية  
تبلغ نحو ٣٠٠٠ قرية (٤) .

زيادة على ذلك فان اسماعيل شكّل هيئة من معاونين له فى ادارة حكم  
البلاد ، وقد تضمنت هذه الهيئة وكيل الحكمدارية ، وقائد عام الجند ، ورؤساء  
المصالح الممثلين فى ناظر المواشى ، الذى كان مسئولاً عن تنمية الثروة  
الحيوانية فى السودان ، وناظر القماش وهو الذى كان مسئولاً عن  
المهمات المرية وناظر الفابريكات ( المصانع ) وهو المسئول عن  
الصناعة، وناظر المبانى وهو المسئول عن اقامة الأبنية والتحصينات والشككات

(٢) محفظة ٣ ، معية سنبة وثيقة ٥٨ ، فى ٢٣ ربيع أول سنة ١٢٣٧

الموافق ١٨٢١ م .

(٣) محفظة ٣ معية سنبة نفس الوثيقة .

(٤) دفتر ٢٠ معية تركى ، وثيقة ٣٦٩ فى ٨ رمضان سنة ١٢٤١ هـ

الموافق ١٨٢٥ م

المسكربة ، بالإضافة الى مأمور التقارير ومأمور جمع الضرائب (٥) وكان من المتبع أن يجتمع هؤلاء معاونون وعلى رأسهم اسماعيل ، في شكل مجلس للمشورة ، وذلك لمناقشة جميع المسائل التي تتعلق بالنهوض بالبلاد في كافة المجالات ، ووضع الحلول الملائمة لها ، وكان في نهاية كل اجتماع يتخذ هذا المجلس عدة قرارات ، وتوصيات هامة . ولقد عثرت على بعض توصيات احدى اجتماعات هذا المجلس في فترة تالية لحكم اسماعيل ، والذي انعقد في يوم ٨ محرم سنة ١٢٤٢ الموافق ١٨٢٦ م ، وهي على النحو التالي :

— لقد تم في هذا الاجتماع مناقشة موضوع العمل على عمران البلاد السودانية ، وذلك بعدة عوامل ، كان منها ارجاع السكان الهارين اليها ، وذلك بتخفيض عبء الضرائب المقررة عليهم ، واحتساب الاشياء ( ذرة وسمن وقماش ) التي كانت قد أخذت منهم في صورة اتاوة من اصل الضريبة المقررة عليهم ، والعمل على تنشيط زراعة القطن ، وخاصة في أرض الجزيرة ، وذلك لا يتأتى الا بانشاء عدد من السواقي .

— وتمت كذلك مناقشة ميزانية سنار وضواحيها ( دخل المديرية ) والتي بلغت قيمته حوالي ١١٧.٨ كيسة ، وكان هذا المبلغ لا يكفي مرتبات جنود الجهادية والادلة والمشايخ والخولة والصناع وموظفي الحكومة، مما اضطر اعضاء المجلس أن يقرروا العمل على زيادة هذا الدخل وذلك لا يتأتى الا بمهاجمة اقليم عطيش التابع للحبشة وذلك لسببين ، اولهما أن هذا الاقليم كان بمثابة وكر للهاريين من سنار ، وثانيهما أنه كان غنيا بثرواته ، وقد وافق اعضاء المجلس جميعهم ، عدا عضو واحد هو محمود أفندي الذي قال « اما انا فامتنع الآن عن الموافقة لأن مسألة عطيش تحتاج الى شيء من التفكير » ويبدو أن هذا العضو كان يخشى الصدام مع الحبشة ، فربما كان يرى ضرورة عرض الموضوع على محمد علي . وكان عضوا آخر قد رد عليه بقوله « ان مولانا قد سلم الينا جزيرة سنار فكيف يكون لنا أن نساله نقودا ، فعلينا أن نجتهد ما استطعنا في كفاية انفسنا بفضل ولي النعم » .

(٥) محنظة ١٩ بحريرا ، وثيقة ٢٢ في محرم سنة ١٢٤٢ هـ الموافق ١٨٢٦م -

والى جانب مناقشة الموضوعات السابقة ، فقد ناقش المجلس عدة موضوعات كان منها موضوع فشل زراعة البن والانيون ، فانضح للمجلس أن السبب في فشل زراعة هاتين الفلتين ، يرجع الى عدم ملائمة مناخ السودان لهما ، وبالتالي وافق المجلس على الغاء زراعتهما . وناقش المجلس أيضا ارسال عدد من أبناء السودان الى مصر ليتعلموا مهنة دباغة الجلود ، وذلك لعدم وجود امكانيات لصناعتها في السودان ، كما ناقش المجتمعون أيضا عملية التنقيب عن المعادن التي تقرر وقف العمل فيها لأنه لا يجدى، وقرر المجلس كذلك رفع سعر الاوقية من الذهب الى عشرين فرنسة بدلا من ستة عشر فرنسة \* (٦) .

استمر هذا التنظيم الادارى للسودان ، معمولا به حتى عام ١٨٤٣ ، ففى هذا العام اصدر محمد على قرارا يقضى بتقسيم السودان الى ستة مديريات عين على كل منها باشا برتبة لواء ، فعين على مديرية التاكة أحمد باش ، وعين على مديرية نازوغلى سليم باشا ، وعلى كردنان مصطفى باشا ، وعلى الخرطوم وملحقاتها ( بعض أجزاء من بربر واقليم الجعليين ) امين باشا ، وعلى سنار سليمان باشا ، وعلى دنقلة وملحقاتها حسن باشا ، وكان على رأس هؤلاء جميعا حكام السودان (٧) .

## ٢ - الصناعة :

اهتم محمد على باذخال عدد من الصناعات المختلفة الى السودان، وكان من هذه الصناعات ، صناعة النيلة والأواني الفخارية وصناعة بناء السفن، وغيرها وسوف أتحدث عن كل صناعة من هذه الصناعات على حدة .

فبالنسبة لصناعة النيلة ، فقد انشا محمد على من أجلها مصنعين في بربر مع بداية الفتح المصرى للسودان ، لكن لم يكتف مدير بربر بهذين المصنعين بل نجده يطلب في عام ١٨٢٧ من محمد على أن يرسل له الادوات

(٦) نفس المصدر .

(٧) دفتر ٢٠٩ معاونة اقاليم وثيقة ١١٥٨ في ١١ شواصل سنة ١٢٥٩هـ

الموافق ١٨٤٣ م .

\* فرنسة = فرنك .

والمهمات اللازمة لإنشاء مصنع ثالث للنيلة ، وقد تضمنت هذه الأدوات والمهمات الأعداد التالية : -

٣٦ مكبسا ، ٩٠ صندوقا لمصر النيلة ، ٩٠ مجرفة ، ٢٥ قضيب حديد ، ونصف قنطار من خيط الدوبار ، ٦ مقاطع من الشاش ، ٦٠ رطلا من الصلب ، ٢٠ أردبا من بذور النيلة ، ٣ ساعات انجليزية ، ٣ قنطار من الزيت الحار ، وواحد أردب من الحلبة ، ٣ قنطار من الجير السلطاني ، ٣ عمال ، ٣ وزن ، ٣ نجار ، ٢ خريطة . وكان محمد على قد وافق على ارسال كل هذه الأدوات والمهمات (٨) يبدو ان اهتمام محمد على بصناعة النيلة يرجع الى استخدامها في صبغة ملابس جنود الجهادية ، وخاصة جنود الأسطول البحري ، فمن المرجح ان يكون السبب في انشاء مصانعها في بربر الى ان بربر كانت من المديرية التي توجد فيها زراعة النيلة من غيرها من البلدان السودانية الأخرى .

أما بالنسبة للصناعة الفخارية ، فقد بدأت هذه الصناعة في السودان منذ عام ١٨٢٧ م ، ففي هذا العام أرسل محمد على الى خورشيد باشا مدير سنار ، كلا من الحاج احمد والحاج يوسف ، وهما من سكان الجزيرة ، وذلك لأقيام بصناعة الأواني الفخارية في سنار ، التي تضمنت صناعة القواديس ، والمواجر والبرامات ، زيادة على ذلك فانهما قاما بتعليم أبناء السودان هذه الصناعة حتى تنتشر على نطاق واسع بين السكان ، وكان محمد على قد خصص لكل منهما ماهية شهرية قدرها ١٥٠ قرشا وصرف مقدما لكل منهما مرتب خمسة شهور ، وبعد سفرهما الى السودان تقرر ان يحصل كل منهما على مائة قرش من مرتبه ، ويصرف الباقي لاسرهما بالمحروسة (٩) .

وأما بالنسبة لبناء السفن فقد طلب محمد على ، من مدير سنار ان يقوم بصناعة ٥٠ سفينة ، بعد ان كان قد زوده بكمية من المسامر بلغت ٣٠٠

(٨) محافظ أبحاث السودان ، دفتر ٧٣٤ خديو ، وثيقة ١٦٤ في ٨ شعبان ١٢٤٣ هـ الموافق ١٨٢٧ م .

(٩) دفتر ٧٤٥ ديوان الخديو ، وثيقة ٢١٦ في ٤ صفر ١٢٤٢ هـ الموافق ١٨٢٦ م .

تنطار (١٠) ولكن بعد أن تم صنعها ، كانت رديئة حيث تخللها الماء بعد فترة قصيرة من نزولها الى النهر ، فلما علم محمد على بذلك أرسل مندوباً من طرفه الى خورشيد اغا مدير سنار ، لكي يتف على الأسباب التي أدت الى رداءة صناعة هذه السفن ، وطلب منه أن يعد تقريراً وافياً يتضمن الأسباب التي أدت الى فشل صناعة بعض هذه السفن (١١) وفي نفس الوقت طلب محمد على من مدير ترسانة دنقلة أن يقوم بصناعة عدد آخر من هذه السفن بعد أن زوده بعدد من الجار والمناشير وبعض المهمات الأخرى (١٢) .

ويبدو أن السبب في صناعة هذه السفن كان بفرض استخدامها في نقل العبيد والصمغ والسنامكى ، وكان من المحتمل أن تؤدي هذه الصناعة الى المساهمة في انشاء الموانئ التي تساعد بدورها في انشاء المدن على جنبات النيل .

### ٣ - العمارة وحفر الآبار :

أنشأ محمد على عدداً من المدن كان منها مدينة الخرطوم ، التي كانت قبل الفتح المصرى عبارة عن قرية صغيرة تتكون من عدد من البيوت المبنية من القش والطين وكانت شوارعها عبارة عن حواري ضيقة وفي حالة قذرة بسبب تراكم أكوام القمامة التي يتكاثر عليها الذباب والبعوض ، وكان يسكنها عدد قليل من السكان (١٣) ولكن بعد الفتح المصرى للسودان شيد المصريون فيها عدداً من المباني الحجرية التي زينوها بالحدائق والشوارع الجميلة . وقد شملت هذه الأبنية سراى الحكومة ومبنى مديرية الخرطوم والمسجد والمستشفى وبعض ثكنات الجيش ، ومعمل البارود وترسانة السفن ، وبذلك

(١٠) دفتر ٧٦٦ ديوان خديو وثيقة ٣٤٣ في ١٧ شوال ١٢٤٥ هـ الموافق ١٨٢٩ م .

(١١) دفتر ٧٨٠ صادر ديوان خديو ، وثيقة ٣١ في غرة رمضان ١٢٤٦ هـ الموافق ١٨٣٠ م .

(١٢) دفتر ٣٧٩ صادر ديوان المعونة ، وثيقة ٤١٢ في جهادى الأولى سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .

(١٣) هرست : النيل : ترجمة احمد الشربيني . ص ٢٨٤ .

أصبحت الخرطوم بعد ذلك ملتقى لتجارة غرب وشرق السودان وبلغ عدد سكانها حوالى ٣٠ ألف نسمة في عصر محمد على ، والى جانبها أنشأ المصريون مدينة كسلا التى أصبحت عاصمة لاقليم الناقة وكانت تعتبر حلقة الاتصال بين الخرطوم والمدن الساحلية ، وأنشأ المصريون أيضا عام ١٨٤٠ م مدينة فامكه التى تقع على النيل الأزرق والتى تتبع اقليم سنار ١ وكانت تبعد عن بلدة الروصيرص مسافة ٢٥ ميلا ، وكانت عاصمة لمديرية نازوغلى (١٤) .

ومن وسائل العمران التى تمت في السودان في عهد محمد على ، حفره لعدد كبير من الآبار، وبصفة خاصة في المنطقة الواقعة بين كرسكو وأبو حمد، وكان ذلك بغرض توفير المياه اللازمة للسكان الذين يقطنون هذه المناطق ، بالإضافة الى تزويد القوافل والبعثات التى تمر من هذا الطريق ، بما يلزمها من المياه ، وقد بدأ الحفر في هذه الآبار منذ عام ١٨٤٠م ، وكان محمد على قد عين البكباشى محمد أفندى للإشراف على حفر هذه الآبار بعد أن زوده بعدد من القرب بلغ حوالى ٦٤ قرية من الحجم الصغير، ٦ قرية من الحجم الكبير (١٥) . بالإضافة الى تزويد البعثة بما يلزمها من مؤن وخلافه .

وكان من المهندسين الأجانب الذين عينوا في هذه البعثة المهندس ايمويك Eimo Bey الذى رفض السفر مع البعثة بحجة أنه يعمل في منجم الفحم في السودان ، ولكن لما علم محمد على بذلك أصدر أمرا الى مجلس الشورى لئى يعين مهندسا غيره ، فأختير المهندس حافظ أفندى ومعه رزق الخزانى ، خبير حفر الآبار ، والذى صرف له مقدما مرتب شهرين ، زيادة على حصوله على يومية قدرها ستة تروش (١٦) .

كان محمد على يتابع سير العمل في حفر الآبار ، فكان يسأل من وقت

---

(١٤) عبد الرحمن الرافعى ، المصدر السابق ص ، ص ١٩٤ — ١٩٦ .

(١٥) دفتر ٢٠٩ معاونة اقاليم ، وثيقة ٦٩٨ في ١٧ رجب ١٢٥٦ هـ الموافق ١٨٤٠ م .

(١٦) دفتر ٢١٠ صادر ديوان المعاونة ، وثيقة ١٤١٩ في ٢٠ جماد اول

سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

لاخر عن عدد الآبار التى تم حفرها ، وعن المسافة التى تقع بين كل بئر والاخرى  
وكان يحث رئيس البعثة ان ينجز حفر هذه الآبار فى وقت قصير (١٧) .

لم يقف نشاط محمد على فى هذا المجال عند هذا الحد ، بل أصدر فى  
عام ١٨٤٣م أمرا عاليا الى ديوان المدارس يطلب منه ضرورة حفر قناة (مجرى  
مائي) فى طريق العتور الكائن بين كرسكو وأبو حمد ، وأسند ديوان المدارس  
بدره هذه المهمة الى المهندس دارنو ، الذى اصطحب معه كلا من المهندس  
محمد سليمان ، وعبد الرحمن عمر ، وهما من مدرسة الهندسة ، بالإضافة  
الى قواص واحد ، وقد زود أعضاء هذه البعثة بالأدوات والمهمات اللازمة  
لمهمة الحفر وكان تد صرف مقدما لدارنو جميع مرتباته (١٨) ، بالإضافة  
الى تخصيص ذهبية لكى تنقله ومن معه من القاهرة الى اسوان ، ومن هناك  
يركبون الجمال الى مواقع العمل (١٩) .

لم يقتصر حفر الآبار على منطقة النيل النوبى ، بل امتد الى المنطقة  
الواقعة بين سواكن وبربر على النيل ، وذلك لحفر عدد آخر من الآبار ، وقد  
عين لكشف هذه المنطقة ايوزياشى احمد أفندى ، الذى كان برفقته حسن  
خليفة شيخ قبائل العصابة ، وكان الفرض من ارسال هذه البعثة هو معرفة  
المناطق التى يمكن حفر الآبار فيها (٢٠) .

#### ٤ - الكشف عن منابع النيل :

بعد أن حقق محمد على معظم أهدافه التى دخل من أجلها أفريقيا بقى  
أمامه هدف واحد ، هو الكشف عن منابع النيل ، ومن المرجح أن يكون السبب

(١٧) دفتر ٣٢١ صادر شورى المعاونة ، وثيقة ١٥٤٢ ، فى ٨ ربيع آخر  
سنة ١٢٥٩ الموافق ١٨٤٣ م .

(١٨) دفتر ٢٠٨٨ وارد ديوان المدارس ، وثيقة ٩٣٥ فى غرة محرم سنة  
١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

(١٩) دفتر ٢٨٩ صادر ديوان المعاونة ، وثيقة ١٦٢٨ فى ٢٨ جماد ثان  
١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م .

(٢٠) دفتر ٢٠٩ معاونة اتاليم ، وثيقة ٣٩٤ فى غرة ربيع ثان ١٢٥٩ -  
الموافق ١٨٤٣ م .

في تأخير الكشف عنها راجعا الى أن اهتمامه بالسودان في بداية حكمه كانت قائمة على جلب ما يمكن جلبه من المبيد والثروة الحيوانية والمعادن والفلات الزراعية ، ولكن هذه الاهتمامات لم تستمر طويلا بل تغيرت منذ عام ١٨٤٠ ، وذلك لأسباب سبق ذكرها .

بدأ محمد على في الإعداد للكشف عن منابع النيل منذ عام ١٨٣٨م، فقد طلب في هذه السنة من حاكم السودان أن يعد عددا من المراكب اللازمة لنقل الجنود الذين سوف يقومون بالكشف عن منابع النيل ، ويتضح ذلك من خطابه الذي جاء فيه ما يلي :

« لقد صدر الأمر العالى بتجهيز الذهبيات الثلاث التى ستقوم الى البحر الأبيض ( النيل الأبيض ) مزودين بمدفعين خفيفين لاستعمالها ضد اللصوص وتطاع الطرق فينبغى لذاتكم الكريمة ، ان تنتخبوا ستة مدافع مينة جدا من هذا النوع بكافة مهماتها وقذائفها ، وان تكون سليمة من كل عيب وظل بحيث يتم ذلك بمعرفة القبودان سليم الذى سيأتى من أجل السفر الى النيل الأبيض ، نظرا لأن المسافة التى ستتطعمها هذه الذهبيات طويلة ، ثم تسلم المدافع للقبودان المومى اليه مع العلم أنه اذا حصل أى اعتراض على هذه المدافع أو على قذائفها ، ومهماتنا من ناحية المتانة أو اذا حدث فيها أى خلل، فان ذاتكم الكريمة مسئولة عن ذلك كله عندئذ (٢١) » .

واضح من هذا الخطاب مدى اهتمام محمد على بالكشف عن منابع النيل والذي أرسل من أجل الكشف عنه ثلاث حملات عسكرية ، في الفترة ما بين ١٨٣٩م ، ١٨٤٢م ، وقد تكونت الحملة من ٨ ذهبيات وقياستين ، وخمسة عشرة زورقا ، بالإضافة الى تزويدها بالمؤن والذخيرة والمهمات التى تكفى جنود الحملة مدة ثمانية شهور ، بالإضافة الى تزويدها ببعض الهدايا الأخرى كالخرز والأنواب والشيلان ، وقد عين على رأس هذه البعثة سليم قبودان (٢٢) .

---

(٢١) دفتر ٣٠٢ معاونة الجهادية ، وثيقة ٣١٠ في ٣ جماد الآخر سنة ١٢٥٤ الموافق ١٨٣٨ م .  
(٢٢) دفتر ٢٧٨ شمورى المعونة ، وثيقة ١١٣٠ في جماد ثان ١٢٥٤ الموافق ١٨٣٨ م .

وبعد أن اكتمل اعداد هذه الحملة بدأت المسير من الخرطوم في ١٠ من شهر رمضان عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩م، متجهة صوب الجنوب وواصلت المسير عبر النيل الأبيض ، فبحر الجبل ، مارة بجميع القبائل النيلية حتى وصلت الى موطن قبائل العلياب والبحور ، وعند هذه المنطقة لم تستطع الحملة مواصلة المسير ، فربما كان يرجع ذلك الى نقص المياه في النهر ، وربما كان يرجع السبب الى عدم مقدره السفن على مواصلة المسير ، ومن المرجح ان يكون السبب في ذلك هو نقص المؤن ، وازاء ذلك اضطر سليم ان يعقد اجتماعا مع قادة السفن ليتدارسوا الموقف وفي نهاية الاجتماع قرروا الوقوف عند هذه المنطقة وهى خط عرض ١٠ ، ٥٦ شمال خط الاستواء والعودة الى الخرطوم (٢٣) .

لم يكف محمد على بما حقته الحملة الاولى من نتائج ، فقد تمكنت هذه الحملة من كشف جميع البلاد التى مرت من خلالها ، ولكنه قرر ان يرسل حملة ثانية كى تحقق ما فشلت في تحقيقه الحملة الاولى ، وهو الكشف عن منابع النيل ، وعين سليم قبودان أيضا ، لقيادة هذه الحملة ، وقبل ان يبدأ سليم رحلته طلب ان تزود حملته بأحد الرسامين كى يقوم برسم البلاد والاراضى التى تمر من خلالها الحملة ، وكذلك رسم الخرائط الخاصة بنهر النيل ، وقد تقرر ان يقوم بهذه المهمة المسيو سباتيه الفرنسى الجنسية ، والذى طلب من ديوان المدارس ان يزوده بما يلزمه من ادوات للرسم وخلافه (٢٤) .

وبعد ان اكتملت تجهيزات الحملة الثانية غادرت الخرطوم في ٢٣ نوفمبر ١٨٤٠م، في اتجاه الجنوب ، واستمرت في مسيرتها حتى وصلت الى جزيرة جانكير ، اى عند خط عرض ٤٢ ، ٥٤ شمال خط الاستواء ولم تستطع المسير نحو الجنوب اكثر من ذلك ، وذلك اما لعدم مقدره السفن على تكملة الرحلة او لان الجنود اصابهم التعب ولم يصبحوا في وضع يسمح لهم بمواصلة

(٢٣) السيد يوسف نصر ، دكتور : جهود مصر الكشفية في افريقيا في الترنتاسع عشر . ص . ص ٣١ - ٤٧ .  
(٢٤) دفتر ٣١٠ صادر شورى المعاونة ، وثيقة ٦٧٧ في ١٠ جماد اول سنة ١٢٥٦ هـ الموافق ١٨٤٠ م .

التقدم صوب الجنوب ، أو ربما كان يرجع ذلك الى نقص مياه نهر النيل ، أو لعدم كفاءة السفن المستخدمة في هذه المهمة وهذا هو الأرجح ، لأن السفن التي أرسلت فيها بعد وخاصة في عصر اسماعيل تمكنت من الوصول الى بحيرة البرت نيانزا ، وعلى اثر ذلك قرر سليم العودة الى الخرطوم .

ولكن على الرغم من كل هذه النتائج الهامة والتي حققتها الحملتان السابقتان الا أن محمد على لم يكتف بهذا القدر من العمل بل قرر ارسال حملة ثالثة لتحقيق نفس الغرض، وتكونت هذه الحملة الأخيرة من عشر سفن بالإضافة الى عدد من الجنود المسلحين والمزودين بكل ما يلزمهم من مؤن ونخيرة ، وبعد أن تم اعدادها بدأت المسير من الخرطوم في ٢٧ نوفمبر ١٨٤١م ، متخذة طريقها صوب الجنوب واستمرت في مسيرها حتى وصلت الى نفس النقطة التي وصلت اليها الحملة الثانية ، ولما تأكد لسليم قبودان عدم مقدرة حملته على مواصلة المسير صوب الجنوب ، تفل راجعا الى الخرطوم .

وكان من أهم نتائج هذه الحملات الثلاث أن التقت الضوء على القبائل الزنجية التي تقطن المنطقة الممتدة على طول النهر ، ابتداءً من الخرطوم وحتى جزيرة جانكير ، وهي آخر نقطة وصلت اليها هذه الحملات ، وكان من هذه القبائل ، قبائل البقارة والشلك والدنكا والنوير والكيك والبحور والعلباب والبنديريال والباري ، بالإضافة الى ذلك فإن هذه الحملات التقت الضوء أيضا على عادات وتقاليد هذه القبائل وطرق معيشتهم ، وحياتهم الاجتماعية ، فكانت هذه الشعوب تعيش في ظل نظام قبلي غير مستقر ، وكانت مساكنهم عبارة عن أكواخ مبنية من القش والطين وأغصان الأشجار ، وكانت ملابسهم بسيطة جدا لا تكاد أن تكون شيئا يذكر فكانت عبارة عن قطع من جلود النجور أو جلود الماعز أو من أوراق الأشجار ، زيادة على ذلك فإن علاقة هذه القبائل ببعضها كانت تتسم بالصراع وعدم الاستقرار فكثيرا ما كانت المعارك تنشب بينهم لاتفه الأسباب .

زيادة على ذلك كله فإن هذه الحملات تمكنت من ربط شمال السودان بجنوبه ، وفتحت الطريق أمام تجارة الجنوب لتتجه نحو الشمال وبالعكس ، بالإضافة الى ادخال بصيص من الحضارة والمدنية الى هذه البلاد ، كما انها

مكنت الأوربيين من التوغل الى قلب أفريقيا ، فلولاها ما أستطاع كل من سبيك وجرانت وصول بيكر من الوصول الى أواسط أفريقيا (٢٥) .

## ٥ - التعليم :

كان من الأعمال الهامة التي أدخلها محمد على الى السودان تطويره لنظام التعليم الذي كان سائدا في السودان ، والذي كان تاصرا على حفظ القرآن ، وتعليم مبادئ القراءة والكتابة لبعض الأطفال ، في الزوايا وفي الجوامع الصغيرة التي كانت توجد في بعض قرى السودان الشمالي ، وكانت هذه الزوايا لا تؤدي دورها في خدمة العلم بالكفاءة المطلوبة ، لانه لم يكن لها مصدر ثابت للانفاق عليها فقام محمد على بتطويرها ، عن طريق بناء المساجد ، مثل مسجد الخرطوم ، الذي كانت وظيفته تنحصر في تعليم أبناء السودان القراءة ، والكتابة ، وبعض العلوم الأخرى كالنحو والخط الدقيقة والنسخ ، وحفظ القرآن الكريم ، وقد خصص لهذا الجامع مبلغ وقدره ، ١٥٠ قرشا في الشهر للانفاق منه على التلاميذ الذين يدرسون فيه، لكن هذا المبلغ كان لايفي باحتياجات الامام ( شيخ المسجد ) والدارسين معاه مما اضطره الى ان يشتكى الى حكام السودان الذي طلب بدوره ضرورة

---

(٢٥). وللإستزادة تفصيلا عن الدور الذي قام به محمد على في هذا المجال انظر كتاب المؤلف بعنوان « جهود مصر الكشفية في أفريقيا في القرن التاسع عشر » وانظر ملخص عن حملات سليم قبودان باللغة الفرنسية بكتاب « الوثائق التاريخية للسياسة المصرية في أفريقيا » للمؤلف . ونشر الى فقره منه A.M. Jomard, membre de L'Institut Alexandrie, 7 Juin 1840. Monsieur,

Dans ma dernière lettre, je vous promettais de vous envoyer le journal de selim, capitaine chef de l'exploration du fleuve Blanc. Comme jusqu'aujourd'hui ce journal n'est pas encore arrivé, je prends la liberté de vous envoyer la traduction de la lettre dudit capitaine, en vous réitérant la promesse de l'envoi du journal.

Agréez ....., etc.

Signé Artin Bey premier interprète de S.A. le Vice-roi d'Egypte

زيادة المبلغ المخصص لهذا الجامع بحوالى ١٠٠ قرشاً فيصبح مجموع مخصصاته ٢٥٠ قرشاً ، كما طلب أيضاً تخصيص ٣ أراذب من الذرة لهذا المسجد فى السنة ، كى يؤدى دورة فى خدمة العلم (٢٦) وقد بلغ عدد الدارسين فيه فى عصر محمد على حوالى ٨١ تلميذاً كانوا جميعاً من أبناء السودان (٢٧) ، وفيها بعد تقرر أن يتقاضى كل تلميذ من هؤلاء التلاميذ مرتباً شهرياً قدره قرشان فقط ، بالإضافة الى حصوله على ربعين من الذرة ( كيلة واحدة (٢٨) ) يبدو لكى يهتم كل منهم بدروسه ، وهذه كوسيلة من وسائل التشجيع وان دل هذا العمل على شىء فانما يدل على مدى اهتمام محمد على بنشر العلم الدينى فى السودان .

لم يقتصر نشاط محمد على التعليمى على بلدة الخرطوم وحدها دون غيرها ، بل امتد أيضاً نشاطه الى بلدة دنقلة حيث وافق على انشاء مسجد آخر فيها ، وذلك لتعليم أبنائها القراءة والكتابة وحفظ القرآن (٢٩) بالإضافة الى ذلك فانه سمح لأبناء سنار بالالتحاق بالجامع الأزهر ببصر وذلك لمواصلة دراستهم العالية فكانوا يدرسون التفسير ، والفقه والشريعة الاسلامية وما الى ذلك ، وكان قد تصادف أن هؤلاء التلاميذ بعد وصولهم الى مصر ، لم يجدوا رواقاً خاصاً لاقامتهم فيه اسوة بغيرهم من أبناء الصعيد والمغاربة وسائر الاجناس الأخرى ، ولما طلبوا لهم رواقاً افادت ادارة الأزهر بأنه لاتوجد اروقة خالية ، فجميع الأروقة التى يبلغ عددها ٢٢ رواقاً كانت مشغولة ، ولكن عندما علم محمد على بذلك ، أمر بأن يؤجر لهم مكان آخر يستقروا فيه (٣٠) .

- 
- (٢٦) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٩٩٧ صادر ديوان المالية ، وثيقة ٧٦١ فى ١٢ شوال سنة ١٢٦١ هـ الموافق سنة ١٨٤٥ م .
- (٢٧) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٩٩٨ صادر نظارة المالية ، وثيقة ٥٠٤ فى ٢٨ الحجة سنة ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م .
- (٢٨) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٩٩٨ صادر معية ، وثيقة ١٢٢ فى ٢٦ شوال سنة ١٢٦٣ هـ الموافق ١٨٤٦ م .
- (٢٩) نفس المصدر .
- (٣٠) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٤١١ معية تركى ، وثيقة ٣٤٨ فى ١٦ صفر عام ١٢٦٢ هـ الموافق ١٨٤٦ م .

كان محمد على يحرص كل الحرص على ترميم المساجد التي أنشأها في السودان من وقت لآخر ، لكي تتمكن من مواصلة تأدية رسالتها ، ففي عام ١٨٤٦ وافق ( محمد على ) على بناء سور للجامع الذي أنشئ بأحدى قرى الخرطوم وعلى بناء عشر حجرات من الطوب الأحمر بجوار هذا المسجد وبلغت تكاليفها مبلغ ٨٠٠٠ قرشاً (٣١) ، وربما كانت هذه الحجرات لسكنى التلاميذ .

ويعتبر عصر محمد على في السودان بداية طيبة لنشر التعليم الحديث بين أبنائه ، وذلك بوسيلتين اما عن طريق بناء المساجد في عدد من البلاد السودانية ، أو عن طريق السماح للسودانيين بالالتحاق بالأزهر لتكملة دراستهم ، وفيما بعد انتشر التعليم في السودان ، بصورة أفضل خاصة في عهد خلفاء محمد على .

## ٦ - علاقة مصر ببعض الدول الأفريقية والاجنبية :

اما عن علاقة محمد على ببعض الدول الأفريقية وغيرها ، فكانت سيئة مع البعض وحسنة مع البعض الآخر ، فالبنسبة لعلاقته ببعض دول افريقيا فقد كانت سيئة وخاصة مع دارفور التي اقتطع من أملاكها إقليم كردفان، وضمه الى نفوذه ، مما أثار سخط وغضب سلطانها (٣٢) ولكن فيما بعد حاول محمد على من جانبه أن يحسن علاقته مع سلطان دارفور ، وذلك بعقد اتفاق سلام معه ، حيث يحصل محمد على بمقتضاه على منتجات دارفور من النحاس والعبيد ، وفي هذا الصدد يخاطب محمد على البك الدفتردار بقوله :

« بما أن مقتضى ارادتنا أن نرتبط مع حاكم دارفور باتفاق مخصوص بجلب العبيد واستخراج معدن النحاس ، فقد كتبنا للحاكم المومى اليه كتاباً عربياً ، يتضمن صورة الاتفاق على ذلك الأمرين وأرسلناه له ، مع احمد بك أحد الامراء المقيمين في مصر ، فاذا ما وصل المومى اليه عنده وأخذ منه الجواب

(٣١) محافظ ابحات السودان - دفتر ٤٠٨ - صادر معية سنية ،

وثيقة ١١١٠ ، في ٨ ربيع اول سنة ١٢٦٣ هـ الموافق ١٨٤٦ م .

(٣٢) د / مكي شبكية : المصدر السابق ص ٣٣٥ .

المطلوب على ذلك الامرين ، وجاء عندكم وأخبر به فعليكم أن تقبلوا النظام الذى يتقرر بناء على ائسعار الحاكم المومى اليه واخبار المندوب ، وتبذلوا جهد حيثكم لاجراء مقتضاه ، وتعنوا بأن يكون جلب العبيد موافقا لرغبتنا واستخراج النحاس مطابقا لطلبنا »

أما عن علاقة محمد على بالحبشة ، فيبدو أنها كانت طيبة ولكن كان بشوبها الحذر ، لأن الحبشة بكل تأكيد كانت لا ترضى عن وجود جيش مصرى منظم يتهدد حدودها الغربية ، لذلك عملت منذ اللحظة الأولى على اثاره القلائل امام القوات المصرية وذلك عن طريق الاغارات المتكررة ، على القبائل السودانية المتاخمة لحدودها . مما دفع مصر فيما بعد الى أن تقيم عدة نقاط عسكرية قوية تمتد على طول حدود الحبشة الغربية ، لكن هذه النقاط العسكرية لم تمنع الصدام المسلح الذى وقع بين مصر والحبشة فيما بعد وسوف اتكلم عنه فى حينه .

وأما عن علاقة محمد على ، بالدول الأوربية . فكانت حسنة مع هذه الدول وخاصة بعد ابرام معاهدة لندن عام ١٨٤٠م حيث نجده يسمح للتجار الانجليز بالاتجار فى الصمغ والسنامكى على شرط أن يقوموا بتسديد قيمة الرسوم الجمركية المقررة والبالغ قدرها ١٢٥٪ (٣٣) وفيما بعد سمح لجميع الأوربيين بالاتجار فى المنتجات السودانية الى جانب التجار المصريين (٣٤) .

يبدو فقط أن هذا التغيير فى سياسة محمد على تجاه الدول الأوربية، كانت نتيجة لمعاهدة لندن ، حيث رأى مدى تأثير هذه الدول فى سر الاحداث بينه وبين السلطان العثمانى ، ورأى أيضا أنه من الأفضل كسب صداقة هذه الدول بحيث تكون معه لا عليه ضد الدولة العثمانية ، فربما كان يقصد من وراء ذلك عدم تحرش هذه الدول به ، نتيجة لدخوله الى قلب افريقيا ،

---

(٣٣) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٤٥٢ — صادر معية، وثيقة ٥٧٧

فى ٢٨ رجب سنة ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٧ م .

(٣٤) محافظ أبحاث السودان — دفتر ٥٩٥ صادر ديوان

وثيقة ١٦٣٣ فى ٢١ شوال ١٢٦٥ هـ الموافق ١٨٤٨ م .

وأراد أن يشعرها بحسن نيته، حتى لا تتكفل ضده وتقف عقبة أمام توسعته في أفريقيا ، مثلما فعلت معه من قبل في آسيا ، وربما أراد بهذا العمل أن يترك علاقات طيبة بين هذه الدول الأوربية ، وبين خلفائه من بعده .

وأما عن علاقته بالدولة العثمانية فيبدو أنها كانت حسنة ، وذلك لأن تركيا لم تقف أمام توسعه في أفريقيا ومن المرجح أن يكون هذا الرضا من جانب تركيا راجعا الى أنها كانت ترى في هذا إبعاده عن مسرح التوسع في آسيا ، وهذا من الجائز لأن تركيا وافقت على إعطائه مينائي سواكن ومصوع مقابل أن يدفع لها قيمة ماكانت تحصل عليه من دخل هذين المينائين .

## الفصل السادس

### الوجود المصرى فى افريقيا فى عهدى

#### عباس الاول ومحمد سعيد باشا

بانتهاء عصر محمد على ، طوت مصر صفحة مشرقة من تاريخها الجيد .  
عقدت فى خلال هذه الفترة تقدما كبيرا فى المجالات العسكرية والعلمية  
والمصناعية والزراعية والتجارية ، وتمكنت من أن تضع نفسها فى المكان اللائم  
لها بين صفوف الدول المتحضرة ، وبعد هذه الفترة بدأت مصر صفحة جديدة  
تمثلت فى عصرى كل من عباس الاول ومحمد سعيد باشا ، وسوف أتحدث  
عن كل منهما على حدة .

#### ١ - عصر عباس الاول :

تولى عباس الاول بن طوسون حكم مصر فى حياة جده محمد على ، اى  
فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٤٨م ، وعلى اثر توليه مقاليد الحكم ذهب الى الأستانة  
لقتديم فروض الطاعة والولاء للسلطان العثمانى ، ثم عاد الى مصر فى ١٣  
فبراير سنة ١٨٤٩م واستمر يحكمها حتى عام ١٨٥٤ ، وكان قد اهتم فى  
اثناء مدة حكمه بشئون مصر الداخلىة ، التى تمثلت فى اصدار قرار يقضى  
بإطرد الموظفين الأوربيين الذين كانوا يعملون فى مصر فى مختلف الاعمال ، ولكن  
قنصل فرنسا تدخل لدى عباس وطلب منه أن يعدل عن قراره حتى لا تتوقف  
الاعمال الهامة التى يقومون بها ، وقد استجاب عباس لمطلب القنصل الفرنسى  
ووافق على ابقاء البعض منهم ، وخاصة ممن يقومون بأعمال ذات أهمية ،  
مثل كلوت بك الذى كان مسؤولا عن الشئون الصحية فى مصر (١) .

(١) محفظة ١٣ وثيقة بدون تاريخ .

وكان من اهتمامه أيضا أنه أنشأ مدرسة عرفت باسم المدرسة المقرورة . وكان يتفقدتها بين الحين والآخر ، حتى أنه كان إذا رأى أى تلميذ من تلاميذها لا يرتاح الى شكله حكم عليه بأنه من أبناء الفلاحين ، وفي هذه الحالة يأمر بإخراجه من بين صفوف التلاميذ ، وقد تضمنت هذه المدرسة مراحل التعليم المختلفة المثلة في التعليم الابتدائي والتجهيزي والمسكري والعائى والهندسى ، وبلغ عدد تلاميذها عام ١٨٤٩ حوالى ١٦٩٦ تلميذا (٢) . ويبدو أن عباس قصر التعليم على أبناء الأتراك فقط دون غيرهم من أبناء المصريين كى يساهموا في حكم البلاد بينما حرم منه أبناء غير الأتراك ، حتى لا يكونوا خطرا يتهدد حكمه .

من اهتمامه كذلك أنه أنشأ أول خط حديدي يربط الاسكندرية بالقاهرة ولكن هذا الخط لم يكتمل الا في عهد سلفه محمد سعيد باشا ويعتبر هذا الخط من الاعمال الهامة التى تم تنفيذها في عهده ، لانه من أبرز مظاهر الحضارة والمدنية في ذلك العصر .

واهتم كذلك بتحسين حدود مصر الشمالية ، وذلك بتدعيمها بنحو ١٠٠٠٠ ( عشرة آلاف من الجنود ) ، خشية أن تهاجمها الدولة العثمانية عن طريق البحر ، ويرجع سوء التفاهم الذى حدث بينه وبين الدولة العثمانية بسبب رفضه تطبيق التنظيمات التركية ، التى كانت تعتبر قانونا للإصلاح ، وهذا من وجهة النظر التركية ، ولكن عباس اعتبر أن قبوله لهذه التنظيمات سوف يفقد مصر حريتها ، وحقوقها التى تضمنتها المعاهدة الدولية المبرمة فيما بين ١٨٤٠ و ١٨٤١ ، لذلك اضطر عباس الى رفض هذه التنظيمات وايدته بريطانيا في ذلك . وفي هذا الصدد يقول قنصل سردينيا في مصر ما نصه :

« من أهم التفيرات على تفكير الحكومة الجديدة ( حكومة عباس الأول ) انتهاء النفوذ الفرنسى انتهاء يكاد يكون تاما وهو النفوذ الهائل الذى كانت تتبع به فرنسا بمفردها بواسطة مبعوثيها الرسميين ، وبواسطة المدركبير من الموظفين الفرنسيين المقيمين في مصر » (٣) .

(٢) انظر محافظ ابحاث السودان .

(٣) محفظة ١٣٠ - الوثيقة السابقة

يبدو أن عباس الأول أراد أن ينتقم من فرنسا ، لأنها خدعت جده ، ولم تتف إلى جانبه موقفاً إيجابياً ، ضد الدول التي فرضت عليه قبول معاهدة لندن . من هنا نرى أنه ضم إلى جانبه بريطانيا اعتقاداً منه بأنها هي الدولة القوية القادرة على الوقوف ضد تركيا وفرنسا معا .

كل هذه الاهتمامات هي التي شغلت عباس الأول عن مواصلة التوسع في أفريقيا ، ومحاولة الكشف عن منابع النيل ، التي حاول جده محمد علي الكشف عنها ، ولكن الله لم يشأ بعد ، فكل ما عمله في السودان وما عاد على أهله بالفائدة والنفع ، هو قيامه بإنشاء مدرسة الخرطوم التي كان لها الفضل في انتقاذ أبناء السودان من وطأة الجهل والتخلف ، فكان عباس قد أصدر قراراً في ٦ رجب سنة ١٢٦٦ هـ الموافق ١٨ مايو ١٨٥٠م إلى ديوان المدارس يقول فيه :

« قد صدر رأي المجلس الخصوصي ، بتأسيس مدرسة بالاقليم السودانية انتقاداً لأولاد أهلها والمستوطنين بها من جحيم الجهل حتى يمتازوا باكتساب العلوم والمعارف » (٤) .

وبعد ذلك عين عباس الأول رفاعة رافع الطهطاوي لنظارة المدرسة (٥) وأرسله إلى الخرطوم وكان بصحبته عدد من المدرسين الكفاء مثل القائم مقام محمد بيومي ، والملازم ثان إبراهيم محمد ، والصاغقول أحمد كامل أفندي والملازم ثان على عثمان أفندي ، والملازم أول على محمد أفندي ، والملازم ثان محمد مرسى أفندي ، والملازم ثان أمين أفندي والشيخ رجب والشيخ مكاوي والشيخ اسماعيل والشيخ أحمد والطبيب سليمان السيوطي . وكان عباس الأول قد قرر أن يصرف لتلاميذ هذه المدرسة مرتباً شهرياً قدره ستة قروش لكل منهم (٦) وكان المجلس الخصوصي قد وافق في جلسته المنعقدة في ١٧

(٤) د . عبد العزيز أمين عبد المجيد : التربية في السودان في القرن التاسع عشر ، ص ٢٥ .

(٥) محافظ أبحاث السودان ، دفتر ٢١٣٣ ، ديوان المدارس تركي ، وثيقة ١٦٧ ص ١٣٠ في ٦ رجب ١٢٦٦ هـ الموافق ١٨٤٩ م .

(٦) مجلة الثقافة العدد ٢٢٤ السنة الخامسة في ١٣ أبريل ١٩٤٣م

رجب سنة ١٢٦٦ هـ ، الموافق ١٨٤٩ ، على سفر مدرسي هذه المدرسة  
الى السودان (٧)

ولكن بعد وصول رفاعة ورفاقه الى هناك ، لم يهتم بفتح هذه المدرسة ،  
على الرغم من انه حصل على جميع الامكانيات اللازمة لها مثل المهمات  
والادوات بل اخذ يماطل ويشكو مر الشكوى من ذهابه الى الخرطوم (٨) ويتضح  
ذلك من شعره الذى نظمه في السودان وقال فيه :

« وقد فارقت اطفالا صفارا بطهطا دون عودى واعتيادى  
افكر غيهم سرا وجهرا ولا سمرى يطيب ولا رقادى  
وعادت بهجتى بالنأى عنهم بلوعة مهجة ذات اتقاد  
اريد وصالهم والدهر بأبى مواصلتى ويطمع فى عنادى » (٩)

من هذه الابيات الشعرية يتضح مدى حنق رفاعة الطهطاوى على سفره  
الى السودان ، حيث اعتبر نفسه سجيناً ، حرم من وطنه ومن رؤية اولاده اعز  
باقى الوجود واعتقد ان عباس رغب فى التخلص منه بأرساله الى الخرطوم ،  
لذلك اهل فى فتح هذه المدرسة وشجعه على ذلك حكمدار السودان اسماعيل  
أبو جبل ، الذى كان لا يبيل الى افتتاح هذه المدرسة ، لاعتقاده بأن افتتاحها  
سوف يرهق ميزانية الحكمدارية (١٠)

من المرجح ان عباس لم يكن يقصد التخلص من الطهطاوى بإرساله الى  
السودان ، بل كان يقصد نشر العلم والمعرفة هناك ، فلو كان عباس يريد  
التخلص من الطهطاوى لتخلص منه بسهولة ، ودون أدنى عناء ، لان  
الطهطاوى لم يكن بالمشكلة او بالخطر الذى يتهدد عرش عباس الأول ، وفى

---

(٧) سجل ٢١٢٤ ديوان مدارس تركى ، وثيقة ٧٩ فى ٢١ رجب ١٢٦٦ هـ —  
الموافق ١٨٤٩ م .

(٨) د. عبد العزيز أمين عبد المجيد : المصدر السابق ص ٣٠

(٩) د. أحمد أحمد سيد أحمد : المصدر السابق ص ٩٢

(١٠) د. عبد العزيز أمين عبد المجيد : المصدر السابق ص ٣١ ، ٣٣

هذا الصدد يضيف الدكتور أحمد أحمد سيد أحمد قوله أن الغرض من انشاء مدرسة الخرطوم هو الاسهام في حل أزمة الادارة في البلاد السودانية ، هذه الأزمة التي بدأ حلها غير ممكن دون الاستعانة بالمعلمين ، الذين سوف يقومون بمهمة انتشار الثقافة في جنوب الوادى ، وهذا رأى ربما يكون على جانب كبير من الصحة ، ومن المحتمل أن يكون عباس قد خشى على نفسه من مبادئ الطيطاوى ، كما خشى من تأثيرها على المثقفين وهذا احتمال ضئيل . ولكن لو سلمنا فرضا ، بأن عباس نفى الطيطاوى الى السودان ، فهو حر في ذلك ، لان الحاكم له الحق في اختيار الأشخاص الذين يتعاونون معه . وله الحق أيضا في ابعاد من لا يرغب فيهم .

وكان عباس من ناحية أخرى يتابع اخبار مدرسة الخرطوم اولا بأول فلما علم بتراخى الطيطاوى في فتحها ، اصدر له امرا يقضى بفتحها ، وكان ذلك في شهر شوال عام ١٢٦٩ هـ وقد دخلها من التلاميذ منذ اللحظة الاولى ٣١ تلميذا ، وبعد ثمانية شهور من افتتاحها بلغ عدد التلاميذ حوالى ٨٤ تلميذا ، وكان سن هؤلاء التلاميذ يتراوح فيما بين السابعة والثانية عشرة ، وكانت المدرسة داخلية على غرار مثيلاتها في مصر ، فكان يصرف لكل تلميذ حصيرة وسجادة عسكرية ومخدة من القطن وحرام بلدى للنساء ، واثناء الدرس كان التلاميذ يجلسون على الحصر ، وكانت الدراسة تبدأ فيها منذ الصباح وحتى قبل غروب الشمس . وكان التلاميذ يتناولون طعام الغداء مع الاساتذة وهم جالسون على الأبراش (١١) .

استمرت الدراسة في المدرسة مدة تسعة أشهر ابتداء من شوال سنة ١٢٦٩ وحتى أول شعبان سنة ١٢٧٠ هـ (١٢) واذا كانت المدرسة لم تستمر في تأدية مهمتها مدة طويلة ( اقل من عام ) ألا ان نشاطها كان يزيد على ذلك بكثير ، وفي هذا الصدد يقول رفاة الطيطاوى ما نصه :

« وكذلك قد تعلم فقهاء الخرطوم ممن مى من المشايخ تجويد القرآن الشريف ، وعلم القراءات حتى صاروا ماهرين في ذلك » (١٣) .

- 
- (١١) د. أحمد أحمد سيد أحمد ، المصدر السابق صص ١٠٥ ، ١٠٧  
(١٢) د. عبد العزيز أمين عبد المجيد ، المصدر السابق ص ٣٥  
(١٣) د. أحمد أحمد سيد أحمد ، المصدر السابق ص ١١٩

لم تكد المدرسة تبدأ عاها الثاني حتى اقلقت أبواها ، وذلك بسبب موت مؤسسها عباس الأول ، وبسبب مجيء محمد سعيد باشا الى أريكة الحكم حيث اصدر ارادة سنية في ٢٧ شوال ١٢٧٠ تقضى باغلاق المدرسة ، وعلى الفور عاد رفاعة راغب الطهطاوى الى مصر .

ويمكن القول بأن مدرسة الخرطوم كانت من اعظم الانجازات المصرية في السودان فلالو مرة يدخل نظام المدارس في هذه البلاد ومع أن هذه المدرسة لم يقدر لها الاستمرار في مواصلة الدراسة مدة طويلة من الزمن ، الا انها بدون شك تركت آثارا على جانب كبير من الأهمية لدى السودانيين انفسهم ، ففتحها كان بمثابة الشعلة التي اضاءت مكانا مظلمًا ثم انطفأت لسبب ما ، فنادى يرى النور لا يمكنه أن يرضى بالظلام .

والى جانب اهتمام عباس بنشر التعليم في السودان فإنه اهتم أيضا بتجديد بعض مباني مدينة الخرطوم ، وأذكر على سبيل المثال أنه في عام ١٨٥١ م ، أمر بتجديد البعض من مباني هذه المدينة وقد بلغت تكاليفها نحو ٨٩٦٤٤ قرشا (١٤) .

اهتم عباس أيضا بطلب عدد قليل من العبيد ، ففي عام ١٨٥١ جلب ١٨ عبدا كانوا عبارة عن سبعة من الذكور الشباب ، وخمسة من كبار السن ، ٢ من الأولاد الصغار ، ٤ من النساء ، وكان القرض من جلب هذا العدد ، هو استخدامهم في الجفالق ، ولكن بعد وصولهم إلى الجفالق تمكنوا من الهرب الى السودان ، ولكن حكمدار السودان تمكن من القاء القبض عليهم واعادتهم بانالى الى مصر ، وبلغت تكاليف نقلهم هذه المرة ٢٠٦٠ قرشا ، ٩ بارة ، وفي عام ١٨٥٢م جلب عباس الاول عددا آخر من العبيد بلغ ١٦ عبدا ، ما بين ذكور واناث ، وذلك لحساب الجفالق أيضا (١٥) وفي عام ١٨٥٤م ، ورد عدد

---

(١٤) محافظ أبحاث السودان دفتر ٩٦ وارد معية عربى ، وثيقة ٩ ص ١١٥ في ٢٠ الحجة ١٢٦٨ هـ الموافق ١٨٥١ م  
(١٥) دفتر ٦٥٨ وارد ديوان الكنخدا ، وثيقة ١٨٨٤ في غرة ربيع آخر ١٢٧٠ هـ الموافق ١٨٥٣ م .

آخر من العبيد بلغ ٢٦ عبدا كانوا جميعا من الأناث ، وذلك للعمل في المنازل كخدم ، وبلغت تكاليف نقلهم ١٩٦٠٤ قرشا ، ٢٥ بارة (١٦) وكان من المتبع مع هؤلاء العبيد انه عند مرورهم من الجمارك المصرية يتم تطعيمهم ضد الجدري .

وبالإضافة الى جلب عباس الأول للعبيد ، فانه جلب ايضا عددا آخر من الماشية السودانية بلغ ١١٠١٦ رأسا ، بيع منها عدد للعمل في المديرية بسمر يتراوح فيما بين ١٢٨ ، ٢٨٥ قرشا للرأس الواحد ، وبيع الباقى بنفس السعر الى ديوان الجهادية وذلك لتوزيع لحومهم على جنود الجهادية (١٧) زيادة على ذلك فانه جلب عددا من الابل بلغ ١٠٠٠ رأس (١٨) هذا بايجاز عن عهد عباس الاول .

## ٢ - عصر محمد سعيد باشا :

تولى محمد سعيد باشا حكم مصر في ١٨ يونيو عام ١٨٥٤م أى بعد وفاة ابن أخيه عباس الأول مباشرة، وقد اعترف السلطان العثماني بالوالى الجديد، الذى سافر الى الأستانة لتقديم فروض الطاعة والولاء ، وعاد سعيد بعد ذلك من هناك الى مصر فى نفس العام . وقد تميز محمد سعيد باشا بأنه كان على جانب من الثقافة ، وذلك لتعلمه فى أوروبا ، واجادته اللغة الفرنسية الى جانب الانجليزية ، وقد اثرت هذه الثقافة بالتالى فى تصرفاته ، فكان يميل الى الأوربيين ويتضح ذلك من منحهم الكثير من الامتيازات التى ساعدت على زيادة عددهم فى مصر .

وبعد ان اعتلى محمد سعيد باشا الحكم شغل نفسه بشئون مصر الداخلية ، شأنه فى ذلك شأن عباس الاول ، وكان من أبرز الأعمال التى

- 
- (١٦) دفتر ٢٢٩٨ وارد المعية ، وثيقة ٦١٢ ص ٥٤٧ فى ١٠ ربيع ثانى ١٢٧٠ هـ الموافق ١٨٥٣ م
- (١٧) محفظة ٢ معية تركى ، وثيقة ٣٧٤ ص ٨٨ فى ٢٥ رجب ١٢٧٠ هـ الموافق ١٨٥٣ م .
- (١٨) دفتر ١٠٤٦ ، وارد نظارة المالية، وثيقة ١٦١٣ فى رجب ١٢٧٠ هـ الموافق ١٨٥٣ م .

شغل نفسه بها في أثناء فترة حكمه ، هي اهتمامه بالتنظيم الإداري في مصر ، الذي تمثل في انشاء المجلس الخصوصي الذي كان من اختصاصه مناقشة الأوامر ذات الصلة العامة ، وذلك قبل عرضها على الوالي ، وكذلك مناقشة اللوائح الإدارية ، زيادة على ذلك فإنه أنشأ ثلاثة دواوين هي ، ديوان الداخلية والمالية والحربية ، بالإضافة الى ذلك فإنه أصدر قانون ملكية الأرض الزراعية عام ١٨٥٤ م ، الذي بمقتضاه حول للفلاحين الحق في ملكية الأرض والانتفاع بها وحق التوريث والتأجير للخير والرهن والبيع .

وكان من أعماله الهامة أيضا اكماله لمشروع الخط الحديدي الذي بدأه عباس الأول والذي يربط بين الاسكندرية والقاهرة ، وقد تم تشغيله بالفعل في عام ١٨٥٦م. كما أنه قام ببدء خط حديدي آخر يربط القاهرة بالسويس (١٩) زيادة على ذلك فإنه قرر تنفيذ مشروع قناة السويس ، الذي بدأ العمل فيه عام ١٨٥٨ م ، والذي انتهى في عام ١٨٦٩ م ، وأدت هذه السياسة التي اتبعتها محمد سعيد باشا الى عدم الاهتمام ببلاد السودان ، وأدى ذلك بانتقالها الى تدهور أحوالها ، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، بحيث لم يعد هناك أي اهتمام بالتجارة أو الزراعة ، وربما زاد إهمال مديري المديرية من نتائج المشكلة ، ولكن لما علم سعيد باشا بهذه الحالة السيئة التي وصلت اليها البلاد ، قرر القيام بزيارة السودان لكي يقف بنفسه على أحوالها من كنه النواحي ، حتى يتمكن من وضع النظم والقوانين التي تكفل نهضة البلاد رفاهيتها وعمرانها (٢٠) وفي هذا الصدد يخاطب سعيد باشا حكمدار السودان بقوله :

«حقا انه من دواعي الاسف الا تنظم شؤون السودان التابعة لحكومتنا كما نريده الى الان ، برغم حرصنا على تقدمها ورغبتنا في عمرانها ، وبالطبع ليس من الجائز ان تظل هذه البلاد على حالتها هذه ، ولذلك كنت أفكر منذ مدة ان أسافر اليها بنفسى لأقوم برحلة في ربوعها واشاهد أيضا أحوالها

(١٩) الياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديو اسماعيل . ج ١ ،

ص ٨٦

(٢٠) محفظة ٣ مديريات ، وثيقة ٣٧٩ في ١١ ربيع اول ١٢٧٣ هـ

الموافق ١٨٥٦ م .

عن كتب ، واقف على شئونها حيث أضع من النظم والأسس ما هو كليل  
بممراتها ، ورفاهية سكانها من الرعاية والاهلية » (٢١) .

تمكن سعيد باشا أثناء هذه الزيارة من اصدار عدة قرارات كان من  
شأنها العمل على حل مشاكل الوطنيين السودانيين ، وكان من هذه القرارات  
العناء منصب الحكمدارية ، وارتباط كل مديرية من مديريات السودان بالقاهرة ،  
كما أنه أسند جباية الضرائب للمشايع والعمد وزعماء القبائل ، بحيث يقومون  
بتوريدها رأسا الى خزانة المديرية (٢٢) بالاضافة الى ذلك فانه أمر بتخفيض  
الضرائب المفروضة على الوطنيين بحيث جعل مال كل ساقية ٢٠٠ قرشا  
في العام بدلا من ٢٥٠ قرشا ، وجعل ضريبة الأرض التي لا تروى بالسواقي  
٢٥ قرشا بينما جعل ضريبة الفدان من أرض الجروف ٢٠ قرشا ، زيادة  
على ذلك فانه أعفى المشايخ من ضريبة ساقية من كل ٢٥ ساقية ، أي أنه كان  
عليهم أن يدفعوا ضريبة عن ٢٤ ساقية فقط ، كما أنه جعل ضريبة النخلة  
المثيرة قرشا واحدا والنخلة الذكر ٣٠ فضة وألغى أيضا نظام السخرة الذي  
كان سائدا في بلاد السودان ، فأمر بعدم تسخير جبال الأهالي في نقل أمتعة  
المرى المختلفة ، أو استخدام أبنائهم بدون رضائهم (٢٣) .

لم يكتف محمد سعيد باشا بذلك بل اشرك البعض من شيوخهم في الحكم ،  
فقد نصب الشيخ رجب ادريس شيخا على جبال الفونج ، وكان سعيد قد  
طلب من جميع المشايخ والعمد والأهالي أن يطيعوا أوامره (٢٤) .

وكان الأهم من ذلك كله اصداره أمرا بإلغاء تجارة الرق في اثريقيا وفي  
هذا الصدد يخاطب حكمدار السودان بقوله :

---

(٢١) نفس المصدر .

(٢٢) د. مكى شيبة ، المصدر السابق ص ٥٧ .

(٢٣) محافظ أبحاث السودان ، دفتر ١٨٨٦ وأمر عربي ، وثيقة ١٥ ص ٢٢

في ٢٩ جماد أول ١٢٧٣ هـ الموافق ١٨٥٦ م .

(٢٤) محافظ أبحاث السودان ، دفتر ١٨٨٦ وأمر عربي ، وثيقة ١٨ ص ٥

٢٥ جماد أول ١٢٧٣ هـ الموافق ١٨٥٦ م .

« ان مبيع وشراء الجوارى السود والعبيد الذين صار جلبهم من السودان ،  
ودارفور ، قد صار منعه من طرفنا كلية ، وقد صدر الامر من طرفنا في هذا  
التاريخ الى المالية لاجل التحرير الى جمرک اسوان والى مدير جرجا واسيوط ،  
في خصوص عدم اعطاء الرخصة للجلايين المارين عليهم بالاسرى الى مصر ،  
وحين تصير هذه المنوعة معلومكم يلزم الدقة والاعتناء التام في منع بيع وشراء  
الجوارى والعبيد بالبلاد سرا وجهرا ، واذا وجد جلايين معهم اسرى —  
وتاصدين الجلب الى مصر يصير حصرهم وارجاعهم الى محلهم فستمر هذه ،  
المنوعة على الدوام بحيث لا يرد اسرى الى مصر ذكورا واناثا . من بعد  
هذا كله يلزم الحذر والمجازية من وقوع من يخالف هذه الارادة في  
حكمداريتكم (٢٥) » .

يبدو ان اجراءات سعيد تجاه وقف تجارة الرق لم تأت بالنتيجة المرجوة  
ما اضطره الى ان يتخذ اجراء اكثر حسما ، تمثل في عدم دخول العبيد الى  
مصر والقاء أسواقها (٢٦) .

وأما عن علاقة سعيد ببعض الدول الافريقية ، فكانت علاقته طيبة  
مع دارفور والحبشة ، فبالنسبة للحبشة نجد انه بمجرد وصوله الى الخرطوم

---

(٢٥) د . مكى شببكة ، المصدر السابق ص ٥٠٨ .

Said pasha forbade the sale and purshes of the slaves and (٢٦)  
close the slave market in Egypt. Explicit orders were given,  
that slave should not be allowed to cross the bounderies on his  
dominions, and instructions to that effect were issued to authori-  
ties at the southern frontiers, as well as at the Red sea literal.  
In 1855 Said issued a decree that gave full freedom to all the  
slaves in Egypt, who of their own accord, wanted to leave the  
service of their masters, the government undertaking the task  
of finding work in such case for the freed, both men and women.  
He wanted to stop altogether the slave trafic in the Sudan.  
Regard to shukry, M. The Khedieve Ismail and slavery in the  
Sudan P. 112.

أرسل خطابا الى ملكها ، يشرح له فيه مدى حرصه على علاقة حسن الجوار بين الدولتين ، ويتضح ذلك من قوله :

« تعلقنا ارادتنا بالمرور على من كان تحت أنظارنا من الاقالييم السودانية الملحقه بجهاتنا المصرية ، فوصل الان ركبنا اليها ، وحل موكبنا لديها بقصد النظر فيما عليه أهلها من الأحوال والتشبيث باسباب ابلاغهم في كيفية معاشهم لدرجة الرفاهية ، واكمال هذا غاية قصدنا ، لا قصد لنا سواه ، وان لكل امرئ ما نوى ، وحيث كان بيننا وبين حضرتكم من حسن الجوار ، وقرب الدار ، وصلة المصالح التجارية التي هي اقوى صلة بين أعضاء العائلة البشرية فقد رأينا من الاقتضاء ان نوجه لحضرتكم هذا الخطاب لتعلم به حقيقة ما قصدناه لقرينا من هذه الجهة من حسن النية وما هو قائم بيننا من طيب ، وما نحن مصممون عليه من الاستمرار على حسن المعاشرة اللازمة لحق المجاورة (٢٧) » .

من قراءة هذا الخطاب يتضح لنا مدى حرص سعيد باشا على علاقة حسن الجوار مع ملك الحبشة ، حيث أفهمه أن زيارته للسودان كانت بغرض الوقوف على أحوال هذه البلاد من كافة الجوانب ، وليست بقصد الإعداد لحملة عسكرية يمكن بها مهاجمة حدود الحبشة المجاورة للسودان .

بعد أن تسلم ملك الحبشة رسالة محمد سعيد باشا الودية اقتنع بموقفه ، والدليل على ذلك إنه طلب من سعيد ان يرسل له أحد القسيس المصريين كي يقوم بالوعظ في الكنائس الحبشية لمدة عدة شهور ، يعود بعدها هذا القس الى مصر ، وقد استجاب سعيد لمطلب ملك الحبشة الذي أرسل خطابا الى سعيد قال فيه :

« بخصوص وصول حضرة القديس ابونا البطريرك كيرلس بطريرك الأتباط ، وبحضوره لطرفنا ، وبالسؤال معه عن جنابكم أعلمنا عن مجيئكم لنا ورغبتكم في دوام المحبة والوداد بيننا ، وفرحنا بذلك كثيرا ، واخبرنا كذلك

---

(٢٧) دفتر ١٨٨٦ أوامر عربي ، وثيقة ١٣ ، ص ١٠ في جماد أول ١٢٧٣هـ .

الموافق ١٨٥٦ م .

بإنصافكم وعدلكم بين الرعية ، لأن طبيعتكم خلقت للخير والصلاح ، ونحن نريد دوام المحبة بيننا ودوام العشرة ، وكذلك أرسلنا لكم سبعة خيول ، منهم ثلاثة كبار وأربعة صغار ، بالإضافة الى درقة فضة مطلية بالذهب وحريتين « (٣٨) .

بعد أن تسلم محمد سعيد باشا هدية ملك الحبشة أرسل له بالتالى هدية اخرى ، تعبيرا عن علاقة الود والصداقة بين الملكين ، وكانت هذه الهدية عبارة عن ٢ مدفع من النحاس الأصفر ، ١٠٠ بندقتية كبسول بروحين ، ١٢٦ ذراع من القماش الحرير ، ١١٠ ذراع من القماش القטיפية ، خمس خيام مبطنة بالحرير ، ومزودة بالأعمدة (٢٩) .

كان ملك الحبشة قد احتفظ بالبطريك المصرى ، انذى كان قد ذهب الى الحبشة ، كى يقوم بالوعظ فى كنائسها لعدة شهور ، مما اضطر محمداً سعيد ان يطلب منه ضرورة عودة هذا القس حتى لا تتعطل الشعائر الدينية فى مصر ، ويتضح ذلك من خطاب سعيد باشا الى ملك الحبشة والذى جاء فيه ما نصه :

« لا يخلصكم تعطيل الشعائر الدينية للاقباط فى بلدنا ، كما لا يرضيكم تعطيل وظيفته وازدياد الشكوى من أجله (٣٠) » .

من المرجح ان يكون السبب فى طلب سعيد عودة البطريك من الحبشة الى مصر يرجع الى اهمية هذا البطريك بالنسبة للعقيدة المسيحية فى سائر أفريقيا ، وربما يرجع ذلك الى سوء التفاهم الذى بدأ يظهر فى الأفق ، او الذى يرجع سببه الى احتضان الحبشة للمتمردين من أبناء السودان .

---

(٢٨) محفظة ١٩ ، وثيقة ٧١ فى ٢٥ ربيع اول ١٢٧٤ هـ الموافق ١٨٥٧ م .

(٢٩) دفتر ١٨٩٠ ، أوامر عربى ، وثيقة ٨٨ ص ٢٦ فى ٢١ محرم ١٢٧٥

الموافق ١٨٥٨ م .

(٣٠) محافظ أبحاث السودان ، دفتر ١٨٨٩ دواوين ، وثيقة ١٤ ص ٦٨ فى

٢٨ ربيع اول ١٢٧٥ هـ الموافق ١٨٥٨ م .

ومن الدول التي كانت لها علاقة طيبة مع مصر في عهد سعيد سلطنة دارفور ، التي كانت لاتزال بعيدة عن النفوذ المصري ، وكان سعيد من جانبه ومنذ البداية حريصا كل الحرص على ان تظل علاقته بهذه السلطنة طيبة حتى لا يصطدم بها في معركة حربية وحتى تستمر التجارة بينها وبين مصر في الازدهار ، ويتضح ذلك من خطاب سعيد الى سلطان دارفور الذي جاء فيه ما نصه :

« بالرغم من توفر قواتنا البرية والبحرية ، الا اننا لا نفكر في القيام بأى عمل يتنافى مع الانسانية (٣١) » .

واضح من هذه العبارة ان سعيد باثا كان يريد ان يفهم سلطان دارفور بان مصر تتعامل معه من مركز القوة وليس من مركز الضعف حتى لا تسول له نفسه في التفكير في القيام بأى عمل عسكري ضد السيادة المصرية في السودان ، ورغب سعيد أيضا ان يفهمه انه رغم هذه القوة الا ان مصر لا تفكر في شن المدوان ، بقدر ما تفكر في نشر السلام والامن في ربوع هذه البلاد ، حتى ينعم أهلها بالسعادة والرفاهية والرخاء .

ولكى يدعم سعيد العلاقة بينه وبين سلطان دارفور أرسل له بعض الهدايا الرمزية التي تمثلت في خمسة سيوف ، كان واحد منها مذهبا ومرصعا بالجواهر ، وكان الباقي مرصعا بالفضة ، وخيمة مبطنه من الداخل بقماش مقصب ، وعربة ركوب ، بأربع عجلات ، وأربع طاقات ( ثوب ) من القماش المقصب (٣٢) .

---

(٣١) محافظ أبحاث السودان ، دفتر ١٨٨٩ دواوين ، وثيقة ١٣ ، ص٧  
في ٢٨ ربيع أول ١٢٧٥هـ الموافق ١٨٥٨م .  
(٣٢) نفس المصدر السابق .